مقدمة التصوف

وحقيقته ونتيجته

تأليف الشيخ الإمام

أبي العباس أحمد زروق الفاسي

(846 - 899 هـ)

بعناية

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أحكم أساسَ الدين، وأزال الشُّبَه عن قلوب المؤمنين، وأمرَهم بالاعتصام بكتابه المُبين، والتَّمسُّك بما وصل إليهم من خطابِه المستَبين، فقال عزَّ مِن قائِل: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: ٢].

والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد المتمِّمِ للدين نظامَه، المقرِّرِ لفرائضِه وأحكامِه، المبيِّن لحلاله وحرامِه، الذي ما ترك شيئا يقرِّبُ إلىٰ الله إلا ودعَا إليه، ولا أدبًا يصلح أن يكون العبد به مع الله إلا وحثَّ عليه، ولا شيء يُشغل العبادَ عن الله إلا وحذّرهم منه، ولا عملًا يقطعهم عن الله إلا وأخرجهم عنه.

وبعد، فقد قال الحقُّ سبحانه وتعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[آل عمران: ١٨]، وثبت أنّ أولي العِلْمِ القائمينَ بالقسط هم المعتصمون بكتابِ الله تعالىٰ، المجتهدون في متابعة رسوله ﷺ، المقتدون بالصحابة والتابعين، السالكون سبيل الأولياء المتقين،

وإليهم الإشارة النبوية بقوله ﷺ: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

وأصناف هؤلاء العلماء ثلاثة: أصحابُ الحديث، وأهلُ الفقه والأصول، والصُّوفيةُ[2]، والعلوم التي قاموا بها هي علوم القرآن وأحكامه، وعلوم السُّنَّة وبيانها، وعلوم الإيمان وحقائقه، وهي أصول العلوم المشار إليها في حديث[3] جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الإسلام والإيمان والإحسان.

فالإسلام ظاهرٌ لتعلُّق أحكامه بالجوارح، والإيمان ظاهر وباطنٌ لتعلُّق أحكامه بالقلوب وظهورِ أثرها علىٰ القوالب، والإحسان حقيقة الظاهر والباطن لرجوعه إلىٰ إتقان العبادات والإيقان بحقائق الغيبيات.

قال الشيخ زرُّوق رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ العلماء وَرِثُوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقوالَه، والعُبَّادُ وَرِثُوا منه أفعالَه، والصوفية ورِثُوا الجميعَ بزيادة الأخلاق الجميلة، فمستنَدُ العالِم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، ومدد العابِد من

---

(1) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه.

(2) قال الشيخ زرُّوق: أَصْلُ التَّصَوُّفِ مَقَامُ الإِحْسَانِ الَّذِي فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِـ«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» لِأَنَّ مَعَانِي صِدْقِ التَّوَجُّهِ لِهَذَا الأَصْلِ رَاجِعَةٌ، وَعَلَيْهِ دَائِرَةٌ؛ إِذْ لَفْظُهُ دَالٌّ عَلَىٰ طَلَبِ المُرَاقَبَةِ المَلْزُومَةِ لَهُ، فَكَانَ الحَضُّ عَلَيْهَا حَضًّا عَلَىٰ عَيْنِهِ، كَمَا دَارَ الفِقْهُ عَلَىٰ مَقَامِ الإِسْلَامِ، وَالأُصُولُ عَلَىٰ مَقَامِ الإِيمَانِ. فَالتَّصَوُّفُ أَحَدُ أَجْزَاءِ الدِّينِ الَّذِي عَلَّمَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جِبْرِيلَ لِيَتَعَلَّمَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَافْهَمْ. (قواعد التصوف، ص26 ـ 27)

(3) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة.

قيامه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتىٰ تورّمت قدماه، وموقِفُ الصوفي عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤][1].

والحاصل أن أهل الظاهر أخذوا عن النبي ﷺ ظاهرَهم، وأخذ أهل الباطن منهُ باطنهم، فكلٌّ علىٰ قدر إرثِهِ، وإرثُه علىٰ قدر نورِه، ونورُه علىٰ قدر فَتْحِهِ، وفتْحُه علىٰ قدر صفاء قلبه، وصفاءُ قلبه علىٰ قدر معرفته بربِّه، ثم جعلهم الحق سبحانه دعاةً إليه أبدًا ودائمًا وسرمدًا بما ورثوه من المعارف والفهوم والأنوار، وقد شهد لهم بذلك، وجعلهم أهلا لما هنالك، حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن العلماء الربَّانِيِّين الذين نالوا حظا وافرًا من الإرث النبوي الشيخ الإمام أبو العباس أحمد زرُّوق الفاسي (846 ـ 899هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كان عالما مشاركا في الحديث والفقه وأصول الدين والتصوُّف كما تشهد مؤلفاته الكثيرة النفيسة بذلك، غير أنه خصّ التصوُّفَ بمزيد العناية والتحقيق والدراية والتأسيس والدفاع، حتىٰ ألّف فيه كتابه الفريد العجيب **«قواعد التصوف»** الذي قلّ وعزّ وجودُ مثيله، كما صدرت منه العديد من الوصايا الإيمانية والنصائح التربوية كانت نبراسًا للسالكين وهداية للمسترشدين.

---

(1) شرح المباحث الأصلية، (ص 100)

وقد وقفنا علىٰ رسالة نفيسة له في علم التصوُّف وآداب أهله الذين قال فيهم الإمام «**شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصوفية أحْيَوْا سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهم وُفِّقوا في بدايتهم لرعاية أقوالِه، وفي وسط حالِهم اقتدوا بأعمالِه، فأثمَر لهم ذلك أن تحققوا في نهاياتهم بأخلاقِه، وتحسينُ الأخلاق لا يتأتىٰ إلا بعد تزكية النفس، وطريق التزكية بالإذعان لسياسة الشَّرْعِ»[1]، فوجدناها فريدة في بابها، دقيقة في موضوعها، حيث عالجت جملة من المسائل المهمة كشروط طلبِ التصوف، وما يتعيّن علىٰ سالكه التحلِّي به، والصفات المعتبرة في الشيخ المربِّي حتىٰ يكون أهلا لأن يقتدىٰ به، وكيفية انتفاع المريد به، وموانع ذلك ليحترز منها، وحقوقه علىٰ شيخه، وواجبات الشيخ المرشِد تجاهه، وغير ذلك من الآداب مع إيراد طائفة من صحيح الأذكار النبوية وبعض الأحكام الفقهية.

لم ينصّ الشيخ زرُّوق رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ اسم خاصٍّ لهذه الرسالة، كما لم تذكرها مصادر ترجمته التي وقفنا عليها، غير أنها ثابتة النسبة له لوضوح أسلوبه الفريد فيها، وتطابق الكثير من المقاطع والنقول والعبارات الواردة ضمنها مع سائر مؤلفاته الأخرىٰ.

أما ما اعتبرناه عنوانًا لهذه الرسالة فقد وجدناه في ظهر أول نسخة من النسختين المخطوطتين المعتمدتين حيث ورد تسميتها بـ«**مقدمة التصوف**

---

(1) عوارف المعارف (ص146)

وحقيقته ونتجيته»، وهي عين كلمات للشيخ زروق أوردها في المطلع، ومع احتمال كون الناسخ هو الذي وضع هذا الاسم إلا أنه مناسب ومطابق لفحوىٰ ومضمون الرسالة، لذا أبقينا عليه واعتبرناه الاسم المناسب حتىٰ يصير علمًا مميِّزًا لها عن سائر مؤلفاته الكثيرة.

نسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الكتاب المبارك أَهْلَ التصوُّف خاصة وكلَّ من أراد سلوك طريقتهم الشريفة عامّة، ونرجو منه سبحانه وتعالىٰ أن يوفقنا لمزيد إخراج الكنوز الزرُّوقية كبعض شروحه علىٰ الحكم العطائية ذات الأنوار البهية والآداب الرفيعة السَّنية، ووصاياه ونصائحه الإيمانية التي جمع فيها قواعد الأخلاق الزكية وأصول مناهج الفلاح الدنيوية والأخروية.

❖ النسخ المخطوطة المعتمدة:

رغم تتبعي للتراث المخطوط للشيخ زروق لم أقف إلا علىٰ غير نسختين من هذه الرسالة، أمّا الأولىٰ فهي من مكتبة خاصة من المكتبات الموريتانية، وهي التي ورد في أولها الاسم المذكور، غير أنها مبتورة من الآخر حيث سقط منها حوالي الثلث.

وأما النسخة الثانية فهي كاملة وتوجد ضمن مجموع يحمل رقم 4627 بالخزانة الحسنية بالرباط، وتقع بين الورقات 34 ـ 54، وقد تفضل بتصويرها لنا صديقنا العزيز ومعاضدنا الأبرز في العناية بتراث علمائنا

الأبرار **الدكتور خالد زَهري** حفظه الله تعالىٰ، وهي نسخة كاملة، ومن خواصها أنها اشتملت علىٰ تاريخ ومكان تأليف الشيخ زرُّوق لهذه الرسالة حيث كان ذلك في عام 895هـ بالمدينة المنورة، أي قبل وفاته بنحو 4 سنوات رحمه الله تعالىٰ.

الملاحقة

الكتاب رقم 107

المكتبة 3 | م ل

العنوان: مقدمة التاسوس ... وحقيقته ونتيجته

الموضوع: التاسوس

المؤلف: أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى عرف بزروق

بسم الله [illegible]

[illegible]

أول النسخة الموريتانية

أخرج الله عنه أهل رجعية ثلاثة أصناف من النور والجبال [illegible]
الهداية [illegible] مسموعة [illegible] وقال الشيخ أبا عمر [illegible]
أصحاب بوصية لا يعرفها إلا من علمه [illegible]
وهم الآن [illegible] في هذا الكلام مع [illegible] ولا صاحب بدعة ولا مقلد أما الكبر
فطابع يمنع من تفهم الآيات والعبر وأما البدعة فمتوقع [illegible] الكبر
وأما التقليد فقالوا يمنع من بلوغ الوصول [illegible] البدعة اعتقاد ما ليس بقربة
قربة كالسماع والاجتماع والكبر عدم الانصاف عند وضوح الحق
وظهوره والتقليد الوقوف مع ضوابط الأئمة والجمود معها من
غير التفات للمعاني والحكمة بل [illegible] حيث [illegible] ثم
[illegible] وسياق الكلام على السماع [illegible] السماع ومن يتعاطيه [illegible] الله
سبحانه التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل لا إله إلا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد [illegible] قال البخاري
في صحيحه باب الغنى غنى النفس [illegible] حدثنا أحمد بن يونس حدثنا
أبو بكر حدثنا أبو حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس
قال الشارح القسطلاني ليس الغنى [illegible] بسبب كثرة العرض [illegible] والمال
[illegible] ما يتمتع به من متاع الدنيا ولكن الغنى الحقيقي المعتبر [illegible]
[illegible] لأن كثيرا ممن وسع عليه لا ينتفع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا
يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير من شدة حرصه ولكن الغنى الحقيقي المعتبر
المعدود غنى النفس بما أوتيت وقنعت به ورضيت [illegible] وعدم [illegible] على
الازدياد والإلحاح في الطلب لأنها إذا استغنت كفت عن المطامع [illegible] وعظمت
وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي ناله
من يكون

آخر النسخة الموريتانية

38

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و[...]
قال أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى عرف بزروق عفا الله عنه
الحمد لله الذي منه بدأ كل شيء وإليه يعود كل شيء تبارك. والصلاة
والسلام على نبيه المصطفى موضح الطرق والمسالك، وعلى آله وأصحابه
وتابعيهم من مجذوب وسالك، صلاة وسلاما دائمين بدوام ملكه المالك
وأحمده على جل ذلك. أما قبل فهو مع وجه بذل كل واجب سعيه،
من الحقائق أنهم قد تبعوه، ومن أعظم عليهم أنفعهم، أعني الذين
جعلوا الجهل عمادا، والابتداع مهادا، واتخذوا الزخرف وسادا،
واستمالوا قلوب الضعفاء بالتزويج وتجوزوا، وهذروا وهلكوا، إذ
ضلوا وأضلوا بما سلكوا، وما عرفوا حقا ولا عرفوا، ولا أرشدوا،
بل كلما قيل فيه تبجحوا وتزينوا، مرضى عن الخيرات في نجر الردى
إذ عرفوا فلا داعي لنهجهم فيهم، سعوا بكل ما يلزم موهمة صرفوا
وجوههم لوجه الله دونهم، تأملوا عن المقصود لم يشترطوا إذ يشكون
ويكفيهم في ضبط أعظم، ولما كان طريق الصوفية محبوبا مجهولا
بالعرف السليم والشرع بعيدا عن إدراك الذوق لو فيه معقودا،
والأصول المثبتة لعزته مجهولة الأصل والفرع، في حقيقته كثر المدعون
بلا حقيقة، وتشبح فيه الجاهلون بلا طريقة، وأنكره المعتدلون
جملة وتفصيلا، لم ينظر فيه العميق وجعلوا دليلا، وهكذا فيه
فمن يريد والإنكار وهكذا دون ملا تنازع الاعتزاز، والحمد لله
المنكر بعلم اهتمامهم، والمعترف بلا حقيقة عن ضعف إضمارهم،
تملا الأخذ والتذكرة، فإن كلا منهما على صواب بوجهه،
إذ لا يجوز أن يقف غير ما علمه، وكان يعتقد فيه سوء ما يظهر
والواجب إيجاد التصريح والتبيين والتلطف بحقيقة معتبرة والأخذ
بما بان بنده وظهر، والتوقف عند الشبهة والتنبيه، ويذكر
من بعد ذلك أن نشأ العمل فيه وتيسير، وعلى الله المعتمد في الموج
التسهيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل: ثم أقول والله المستعان:

أول نسخة الخزانة الحسنية

آخر نسخة الخزانة الحسنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الشَّيْخُ الفَقِيهُ الإِمَامُ العَالِمُ العَلَّامَةُ تَاجُ العَارِفِينَ وَقُدْوَةُ المُحَقِّقِينَ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى عُرِفَ بِزَرُّوقٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ آمِينَ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْهُ بَدَا الحَمْدُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ وَكُلُّ شَيْءٍ كَذَلِكَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مُوَضِّحِ الطُّرُقِ وَالمَسَالِكِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَتَابِعِيهِمْ مِنْ مَجْذُوبٍ وَسَالِكٍ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ بِدَوَامِ المُلْكِ وَالمَالِكِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

أَمَّا قَبْلُ وَمَعَ وَبَعْدُ، فَإِنَّ فِي كُلِّ وَادٍ بَنِي سَعْدٍ[1]، مَنِ اطْمَأَنَّ إِلَيْهِمْ كَشَفُوهُ، وَمَنِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِمْ أَتْلَفُوهُ، أَعْنِي الَّذِينَ جَعَلُوا الجَهْلَ عِمَادًا، وَالابْتِدَاعَ مِهَادًا، وَالبَاطِلَ المُزَخْرَفَ وِسَادًا، وَاسْتِمَالَةَ قُلُوبِ الضُّعَفَاءِ بِالتَّرْوِيجِ مُرَادًا، فَهَلَكُوا وَأَهْلَكُوا؛ إِذْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا بِمَا سَلَكُوا، وَلَا عَرَفُوا الحَقَّ وَالحَقِيقَةَ وَلَا أَدْرَكُوا، بَلْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ فِيمَا فَعَلُوا وَتَرَكُوا:

مَرْضَىٰ عَنِ الْخَيْرَاتِ فِي بَحْرِ الرَّدَىٰ ... غَرِقُوا فَلَا دَاعٍ لِنَهْجٍ أَقْوَمِ
شُغِفُوا بِكُلِّ رَذِيلَةٍ مَذْمُومَةٍ ... صَرَفُوا وُجُوهَهُمْ لِوَجْهِ الدِّرْهَمِ

---

(1) «في كلِّ وادٍ بنو سَعدٍ» مثلٌ من أمثال العربية السائرة، يشير إلىٰ أنّ كل بلد من بلدان الأرض لا يخلو من وجود أصحاب الأخلاق المذمومة والخصال القبيحة.

نَـامَوا عُـنَ الْمَقْـصُودُ لَـمِ يَـسْتَيقِظُوْا   سَـتكُونُ يَقْظَـتُهُمْ لخَطِـبٍ أَعْظَـمِ

طريق ال
محبوب
ومحمود

وَلَمَّا كَانَ طَرِيقُ الصُّوفِيَّةِ مَحْبُوبًا بِالطَّبْعِ، مَحْمُودًا بِالعَقْلِ السَّلِيمِ وَالشَّرْعِ، بَعِيدًا عَنْ إِدْرَاكِ الكَافَّةِ لِدِقَّتِهِ، مَفْقُودَ الأُصُولِ المُثْبِتَةِ لِغُرْبَتِهِ، مَجْهُولَ الأَصْلِ وَالفَرْعِ فِي حَقِيقَتِهِ، كَثُرَ فِيهِ المُدَّعُونَ بِلَا حَقِيقَةٍ، وَتَشَيَّخَ فِيهِ الجَاهِلُونَ بِالطَّرِيقَةِ، وَأَنْكَرَهُ المُتَحَذْلِقُونَ[1] جُمْلَةً وتَفْصِيلًا[2]، وَلَمْ يَنْظُرْ فِيهِ المُحِبُّونَ وَجْهًا وَلَا دَلِيلًا، فَهَلَكَ فِيهِ قَوْمٌ بِالرَّدِّ وَالإِنْكَارِ، وَهَلَكَ آخَرُونَ بِالاتِّبَاعِ وَالاغْتِرَارِ.

وَلَعَمْرِي إِنَّ المُنْكِرَ أَسْلَمُ لِاحْتِيَاطِهِ، وَالوَاقِعَ بِلَا حَقِيقَةٍ عَلَىٰ خَطَرٍ لِاخْتِبَاطِهِ، بِخِلَافِ الآخِذِ بِحَقٍّ وَالتَّارِكِ بِهِ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا عَلَىٰ صَوَابٍ فِيمَا هُوَ بِهِ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقْفُوَ غَيْرَ مَا عَلِمَهُ، وَلَا أَنْ يَتَقَدَّمَ لِشَيْءٍ سِوَىٰ مَا فَهِمَهُ.

---

(1) المُتَحَذْلِقُ: المُتَصَنِّعُ المُتَكَلِّفُ الَّذِي يَدَّعِي العِلْمَ وَالمَهَارَةَ والحِذْقَ وَالقُدْرَةَ.

(2) قال ابن عطاء الله السكندري: وصية وإرشادٌ: إياك أيها الأخ أن تصغي إلىٰ الواقعين في هذه الطائفة والمستهزئين بهم؛ لئلا تسقط من عين الله، وتستوجب المقتَ من الله؛ فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله علىٰ حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله، قد سلموا قيادهم إليه، وألقَوا أنفسهم سلما بين يديه، تركوا الانتصار لنفوسهم حياءً من ربوبيته واكتفاءً بقيوميته، فقام لهم بأوفىٰ ما يقومون لأنفسهم، وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم، ولقد ابتلىٰ الله هذه الطائفة بالخَلْقِ، خصوصًا أهل العلم الظاهر، فقلَّ أن تجد منهم من شرح الله صدر للتصديق بوليٍّ معيَّنٍ، بل يقول لك: نعم نعلم أن الأولياء موجودون ولكن أين هم؟، فلا يُذكَر له أحدٌ إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه، طلق اللسان بالاحتجاج، عاريا عن وجود التصديق، فاحذر من هذا وصفُه، وفرّ منه فرارك من الأسدِ، جعلنا الله وإياك من المصدقين لأوليائه بمنِّه. (لطائف المنن، ص180)

فَالوَاجِبُ إِذًا التَّبَصُّرُ فِي الـدِّينِ، وَاتِّبَاعُ الأَئِمَّةِ المُهْتَـدِينَ، وَالأَخْذُ بِمَـا بَـانَ رُشْدُهُ وَظَهَرَ، وَالتَّوَقُّفُ عَمَّا اشْتَبَهَ وَاسْتَتَرَ، وَسَنَذْكُرُ مَرْصَـدًا فِـي ذَلِـكَ إِنْ شَـاءَ اللهُ بِمَا فُتِحَ وَتَيَسَّرَ، وَعَلَىٰ اللهِ المُعْتَمَدُ فِي بُلُوغِ التَّكْمِيلِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

ثُمَّ أَقُولُ وَاللهُ المُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ:

مقدمة التصوف وحقيقته ونتيجته

اعْلَمُـوا رَحِمَكُـمُ اللهُ أَنَّ التَّـصَوُّفَ لَـهُ مُقَدِّمَـةٌ وَحَقِيقَـةٌ وَنَتِيجَـةٌ، فَمُقَدِّمَتُـهُ: خَشْيَةُ[1] اللهِ، وَحَقِيقَتُهُ: صِدْقُ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ اللهِ[2]، وَنَتِيجَتُهُ: الفَنَاءُ[3] فِي اللهِ.

فَالخَشْيَةُ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ العِلْمِ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ، وَمَظِنَّتُهُ[4] عُلُومُ الـوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ.

وَحَقِيقَتُـهُ دَائِرَةٌ عَلَـىٰ التَّقْـوَىٰ، وَالاسْـتِقَامَةِ[5] كَمَـا أَمَـرَ اللهُ، وَإِفْـرَادِ القَلْـبِ وَالقَالِبِ لِلَّهِ.

---

1) ويثبتُ صدقُ توجُّه العبد بكونه علىٰ حالةٍ توافقُ رضا مولاه عنه ومحبَّته له، وذلك هو جملة الدين الذي جاء به الرسول صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (شرح ابن زكري علىٰ قواعد التصوف، ص 6)

2) قال الشيخ زروق: الخَشْيَةِ: هِيَ تَعْظِيمٌ يَصْحَبُهُ مَهَابَةٌ. (قواعد التصوف، ص324)

3) قال الشيخ زروق: الفناءُ: رؤية حقٍّ بلا خَلْقٍ لِمَا يبدو من جلاله الذي يَضْمَحِلُّ معَهُ وجودُ كلِّ شيء. (الشرح الخامس عشر علىٰ الحكم، ص309)

4) في (ش): علوم.

5) قال الشيخ زَرُّوق: الاسْتِقَامَةُ: الاسْتِوَاءُ فِي اتِّبَاعِ الحَقِّ عَلَىٰ مَنْهَجِ السَّدَادِ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ. أَرْكَانُهَا: عَمَلٌ بِلَا فَتْرَةٍ وَلَا إِخْلَالٍ، وَتَوْبَةٌ بِلَا إِصْرَارٍ وَلَا رُجُوعٍ، وَإِخْلَاصٌ بِلَا تَشَوُّفٍ وَلَا مُلَاحَظَةٍ، وَاسْتِسْلَامٌ بِلَا مُنَازَعَةٍ وَلَا مُعَارَضَةٍ، وَتَفْوِيضٌ بِلَا تَرَدُّدٍ وَلَا تَدْبِيرٍ. مُلَازِمُهَا

وَنَتِيجَتُهُ دَائِرَةٌ عَلَىٰ كَشْفِ الغِطَاءِ، وَتَحَقُّقِ الإِمْدَادِ وَالعَطَاءِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُنَالُ بِحِيلَةٍ، وَلَا يُطْلَبُ بِسَبَبٍ سِوَىٰ تَرْكُ كُلِّ غَيْرٍ، وَعَدَمِ الالْتِفَاتِ لِآثِمٍ وَلَا لِبَرٍّ.

وَفِيهِ تَبْدُو فَوَائِدُ المَعَارِفِ، وَتَظْهَرُ اللَّوائِحُ[1] لِلْمُرِيدِ وَالعَارِفِ، وَالحَقَائِقُ لِلْقُلُوبِ، فَهُوَ هِبَةٌ مِنَ اللهِ لِلْمَحْبُوبِ، لَا تَدْفَعُهَا بَلْوَىٰ وَلَا تُحَقِّقُهَا دَعْوَىٰ.

فَمَنْ طَلَبَهُ بِغَيْرِ مُقَدِّمَاتِهِ مِنَ التَّقْوَىٰ وَالاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ آيَاتِهِ، وَالتَّجَرُّدِ عَنِ الخَلَائِقِ بِمَرَّةٍ لَمْ يَنَلْ مِنْهُ ذَرَّةً، وَمَنْ تَوَجَّهَ لِطَلَبِهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ عَلَىٰ[2] غَيْرِ المَهَالِكِ، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَ التَّحَقُّقَ بِالكَمَالِ وَجَدَ فِي صَدَفِهِ الجَوَاهِرَ وَاللَّئَالِي.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ المُرِيدِ أَنْ يَقْطَعَ أَمَلَهُ عَنِ التَّشَوُّفِ لِلْفُتُوحِ بِالكُلِّيَّةِ، وَيُكْثِرَ المَسْأَلَةَ وَيَجْعَلَ نُصْبَ قَلْبِهِ طَلَبَ الاسْتِقَامَةِ وَكَمَالَ العُبُودِيَّةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّقْوَىٰ بِالوَرَعِ، ثُمَّ تَصْحِيحِ الاسْتِقَامَةِ بِالاتِّبَاعِ لِلشَّرْعِ، ثُمَّ التَّجْرِيدِ بِرَفْعِ الهِمَّةِ[3] عَنِ المَخْلُوقِينَ، وَتَعَلُّقِ القَلْبِ بِرَبِّ العَالَمِينَ.

وَاصِلٌ قَطْعًا، فَهِيَ الكَرَامَةُ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ، لَا غَيْرُهَا. (الشرح الخامس عشر علىٰ الحكم العطائية، ص 328)

(1) في (ش): اللوامع.

(2) في (ش): لم يصل منه إلىٰ.

(3) قال ابن عطاء الله: والذي يوجب لك رَفْعَ الهِمَّة عما سوىٰ الله علمُكَ بأنه لم يخرجك إلىٰ مملكته إلا وقد كفاكَ، ومنحكَ وأعطاكَ، ولم يُبْقِ لك حاجةً عند غيرِهِ. (لطائف المنن، ص112)

علة الحاجة إلى الشيخ في طريق التصوف

وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِصُحْبَةِ شَيْخٍ نَاصِحٍ أَوْ أَخٍ صَالِحٍ تَرْجِعُ إِلَيْهِ فِيمَا تُبْقِي وَتَذَرُ؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ مُبْتَلًى بِنَفْسِهِ وَبِهَوَاهُ قَدْ قُهِرَ، لَا يُمْكِنُهُ إِنْصَافُهُ مِنْهَا بِمُجَرَّدِ نَظَرِهِ فِي عُمُومِ أَوْقَاتِهِ، إِلَّا بِحَاكِمٍ تَنْقَادُ إِلَيْهِ فِيمَا هِيَ بِهِ فِي جَمِيعِ سَاعَاتِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا رَزَقَهُ جَلِيسًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**»[1].

قَالَ الشَّيْخُ «**أَبُو عَبْدِ اللهِ البَلَّالِيُّ**» فِي كِتَابِ التَّوْبَةِ مِنِ اخْتِصَارِ «**الإِحْيَاءِ**» مَا نَصُّهُ: «وَلَابُدَّ مِنْ صُحْبَةِ كَامِلٍ تَفْنَىٰ عَنْ مُرَادِكَ لِمُرَادِهِ أَبَدًا، فَنَقِّبْ عَنْهُ فَإِنَّهُ مَا خَلَا قُطْرٌ عَنْ مِثْلِهِ، وَبِاللهِ لَا تَعِشْ بِدُونِهِ، فَسَلَامَتُكَ مَعَ غَيْرِهِ عَزِيزَةٌ».

ثُمَّ قَالَ: «فَعَدُوٌّ عَرَّفَكَ عَيْبًا أَنْفَعُ مِنْ أَخٍ مُدَاهِنٍ، وَكَانُوا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يُحِبُّونَ مَنْ يُنَبِّهُهُمْ عَلَىٰ عُيُوبِهِمْ».

قُلْتُ: فَقَوْلُهُ: صُحْبَةُ كَامِلٍ، يُرِيدُ سَوَاءً دَخَلَ مَعَهُ عَلَىٰ الأُخُوَّةِ، أَوْ عَلَىٰ المَشْيَخَةِ إِذَا تَأَهَّلَ لِلْإِفَادَةِ، وَمَلَّكَهُ قِيَادَهُ بَعْدَ تَحَقُّقِ حَالِهِ المُعْتَبَرِ فِي وَصْفِهِ الدَّائِرِ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ:

مطلب الصفات الخمس المعتبرة في الشيخ

- العِلْمِ بِالمَطْلُوبِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّحَقِيقِ بِالتَّجْرِبَةِ.
- وَالبَصِيرَةِ النَّافِذَةِ مَعَ إِسْقَاطِ الهَوَىٰ.
- وَالعَمَلِ الثَّابِتِ مَعَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ.

---

(1) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: غريب بهذا اللفظ، والمعروف أن ذلك في الأمير، روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**»، الحديث.

- وَالهِمَّةِ العَالِيَةِ بِتَرْكِ الخَلْقِ وَرَفْضِ الدُّنْيَا وَالنَّفْسِ وَالهَوَىٰ وَالشَّيْطَانِ.
- وَالحَالَةِ الصَّحِيحَةِ بِالانْحِيَاشِ إِلَىٰ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ بِإِيقَافِ الآمَالِ عَلَىٰ اللهِ فِيمَا قَلَّ وَجَلَّ.

فَبِالعِلْمِ يَهْدِي، وَبِالبَصِيرَةِ يُمَيِّزُ، وَبِالعَمَلِ يُعِينُ، وَبِالهِمَّةِ يُقَوِّي، وَبِالحَالِ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ وَيُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ.

وَإِنَّمَا هِيَ ثَلَاثٌ:

- عَقْلُهُ لِتَدْبِيرِهِ مَعَاشَكَ.
- وَعِلْمُهُ لِتَدْبِيرِهِ مَعَادَكَ.
- وَمُرُوءَتُهُ لِتَأْدِيبِكَ وَتَهْذِيبِ أَخْلَاقِكَ.

ثُمَّ كَمَالُكَ فِي كَمَالِهِ فِي حَالِهِ؛ لِأَنَّ المَرْءَ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، وَمَنْ تَحَقَّقَ بِحَالَةٍ لَمْ يَخْلُ حَاضِرُوهُ مِنْهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ «**ابْنُ عَطَاءِ اللهِ**» فِي «**الحِكَمِ**»: «**لَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يُنْهِضُكَ حَالُه، وَلَا يَدُلُّكَ عَلَىٰ اللهِ مَقَالُهُ**»، «**رُبَّمَا كُنْتَ مُسِيئًا فَأَرَاكَ الإِحْسَانَ مِنْكَ صُحْبَتُكَ مَنْ هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْكَ**».

قَالَ سَيِّدِي «**أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ عَبَّادٍ**» فِي أُرْجُوزَتِهِ عِنْدَ تَرْجِيزِهِ هَذَا الكَلَامَ مَا نَصُّهُ:

إِنَّ التَّوَاخِي فَضْلُهُ لَا يُنْكَرُ   وَإِنْ خَلَا عَنْ شَرْطِهِ لَا يُشْكَرُ

وَالشَّرْطُ فِيهِ أَنْ تُوَاخِي العَارِفَا   عَنِ الحُظُوظِ وَاللُّحُوظِ صَارِفَا

مقالتـــه وحالـــه سيَّانِ مـــا يدعو إلَّا إلى الرحمـــانِ

تـــواره دائمة الســـراية فيك وقد حفت بك الرعاية

وقاصـــدٌ للفاقـــد هـــذا الشرطا بصحبة يعقدها قـــد اخطـــا

كونـــه يرى بها محاسنه فنفســـه ذات اغتـــرار آمنـــه

قُلْتُ: فَذَكَرَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ شُرُوطًا ثَلَاثَةً:

ـ أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ هَارِبًا عَنِ الحُظُوظِ النَّفْسَانِيَّةِ وَاللُّحُوظِ الإِنْسَانِيَّةِ.

ـ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ صَرْفُهُ عَنْهَا بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ، فَلَا تَجِدُ مِنْ حَالِهِ إِلَّا مَا سَمِعْتَ مِنْ مَقَالِهِ.

ـ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ يَدُلُّكَ عَلَىٰ اللهِ، وَيَدْعُوكَ إِلَىٰ اللهِ، لَا لِشَيْءٍ دُونَهُ.

جواب ابن مشيش علىٰ سؤال تلميذه الشاذلي

وَلِهَذِهِ الجُمْلَةِ تَفْصِيلٌ، مِنْهُ مَا حَكَاهُ الشَّيْخُ «أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذْ قَالَ: سَأَلْتُ أُسْتَاذِي عَنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا[1] وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» فَقَالَ: «يَعْنِي دُلُّوهُمْ عَلَىٰ اللهِ وَلَا تَدُلُّوهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِ، فَإِنَّ مَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ الدُّنْيَا» يَعْنِي: وَإِخْوَانِهَا الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ وَالهَوَىٰ وَلَهْوِ الحَدِيثِ «فَقَدْ غَشَّكَ[2]،

---

(1) إلىٰ هنا أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(2) لأنه دلّك علىٰ عدوّ يفرّق بينك وبين حبيبك ويقطعك عنه، ثم هو إن أقبل عليك أشغلك، وإن أدبر عنك أحزنك.

وَمَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ العَمَلِ فَقَدْ أَتْعبَكَ، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ اللهِ» يَعْنِي: وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ «فَقَدْ نَصَحَكَ[1]».

قَالَ فِي «لَطَائِفِ المِنَنِ»: «إِنَّمَا يَكُونُ الاقْتِدَاءُ بِوَلِيٍّ دَلَّكَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَطْلَعَكَ عَلَىٰ مَا أَوْدَعَهُ مِنَ سِرِّ[2] الخُصُوصِيَّةِ لَدَيْهِ، فَطَوَىٰ عَنْكَ شُهُودَ بَشَرِيَّتِهِ فِي وُجُودِ خُصُوصِيَّتِهِ، فَأَلْقَيْتَ إِلَيْهِ القِيَادَ، فَسَلَكَ بِكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يُعَرِّفُكَ رُعُونَاتِ نَفْسِكَ وَكَمَائِنَهَا وَدَفَائِنَهَا، وَيَدُلُّكَ عَلَىٰ الجَمْعِ عَلَىٰ اللهِ، وَيُعَلِّمُكَ الفِرَارَ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ، وَيُسَايِرُكَ فِي طَرِيقِكَ حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ اللهِ، يُوقِفُكَ عَلَىٰ إِسَاءَةِ نَفْسِكَ، وَيُعَرِّفُكَ بِإِحْسَانِ اللهِ إِلَيْكَ، فَتُفِيدُكَ مَعْرِفَةُ نَفْسِكَ الهُرُوبَ مِنْهَا وَعَدَمَ الرُّكُونِ إِلَيْهَا، وَيُفِيدُكَ العِلْمُ بِإِحْسَانِ اللهِ إِلَيْكَ الإِقْبَالَ عَلَيْهِ وَالقِيَامَ بِالشُّكْرِ إِلَيْهِ وَالدَّوَامَ عَلَىٰ مَمَرِّ السَّاعَاتِ بَيْنَ يَدَيْهِ»[3].

قَالَ: «وَلَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ سَمِعْتَ مِنْهُ، إِنَّمَا شَيْخُكَ الَّذِي أَخَذْتَ عَنْهُ.

وَلَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ وَاجَهَتْكَ عِبَارَتُهُ، إِنَّمَا شَيْخُكَ الَّذِي سَرَتْ فِيكَ إِشَارَتُهُ.

وَلَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ دَعَاكَ إِلَىٰ البَابِ، إِنَّمَا شَيْخُكَ الَّذِي رَفَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الحِجَابَ.

---

(1) لأنه أراحك من تعب الأسباب، وعلّق قلبك بالملك الوهاب، وإن كانت الدلالة على العمل دلالةً على الله ولكن الدلالة على العمل دلالة تكليفٍ، والدلالة على الله دلالة تعريف.

(2) سرّ: ليست في النص المطبوع.

(3) لطائف المنن (ص71)

وَلَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ وَاجَهَكَ مَقَالُهُ، إِنَّمَا شَيْخُكَ الَّذِي نَهَضَ بِكَ حَالُهُ.

شَيْخُكَ هُوَ الَّذِي خَرَجَ بِكَ مِنْ سِجْنِ الهَوَىٰ، وَدَخَلَ بِكَ عَلَىٰ المَوْلَىٰ.

شَيْخُكَ هُوَ الَّذِي مَا زَالَ يَجْلُو مِرْآةَ قَلْبِكَ، حَتَّىٰ تَجَلَّتْ فِيهِ أَنْوَارُ رَبِّكِ، نَهَضَ بِكَ إِلَىٰ اللهِ فَنَهَضْتَ إِلَيْهِ، وَسَارَ بِكَ حَتَّىٰ وَصَلْتَ إِلَيْهِ، وَلَا زَالَ مُحَاذِيًا لَكَ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَزَجَّ بِكَ فِي أَنْوَارِ الحَضْرَةِ وَقَالَ: هَا أَنْتَ وَرَبُّكَ»[1].

فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيْنَ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ؟ لَقَدْ دَلَّلْتَنِي عَلَىٰ أَغْرَبِ مِنْ عَنْقَاءِ مُغْرِبٍ.

وجدان المرشدين إلىٰ الله تعالىٰ مشروط بالصدق في طلبهم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَعُوزُكَ وِجْدَانُ الدَّالِّينَ عَلَىٰ اللهِ، وَلَكِنْ قَدْ يَعُوزُكَ وُجُودُ الصِّدْقِ فِي طَلَبِهِمْ، جِدَّ صِدْقًا تَجِدْ مُرْشِدًا.

قَالَ: وَتَجِدُ ذَلِكَ فِي آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ٢١]، فَلَوِ اضْطُرِرْتَ إِلَىٰ مَنْ يُوصِلُكَ إِلَىٰ اللهِ اضْطِرَارَ الظَّمْآنِ إِلَىٰ المَاءِ وَالخَائِفِ لِلأَمْنِ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ طَلَبِكَ، وَلَوِ اضْطَرَرْتَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ اضْطِرَارَ الأُمِّ لِوَلَدِهَا إِذَا فَقَدَتْهُ وَجَدْتَ الحَقَّ مِنْكَ قَرِيبًا وَلَكَ مُجِيبًا، وَلَوَجَدْتَ الوُصُولَ غَيْرَ مُتَعَذِّرٍ

---

(1) لطائف المنن، (ص 204)

عَلَيْكَ، وَلَتَوَجَّهَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْكَ بِتَيْسِيرِ ذَلِكَ عَلَيْكَ»[1]. انتهىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ «**أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ عَبَّادَ**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِي كَلَامِهِ هَذَا تَنْبِيهٌ عَلَىٰ أَنَّ الشَّيْخَ مِنْ مِنَحَ اللهِ وَهَدَايَاهُ لِلْعَبْدِ الْمُرِيدِ إِذَا صَدَقَ فِي إِرَادَتِهِ وَبَذَلَ فِي مُنَاصَحَةِ مَوْلَاهُ جُهْدَ اسْتِطَاعَتِهِ، لَا عَلَىٰ مَا قَدْ يَتَوَهَّمُهُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، يَعْنِي أَنَّهُ يُتَوصَّلُ إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ الْمُعْتَادِ مِنَ الطَّلَبِ، أَوْ يُدْرَكُ الْقُرْبُ مِنْهُ بِحِيلَةٍ أَوْ سَبَبٍ؛ لِأَنَّهُ مَسْتُورٌ بِوُجُودِ الْبَشَرِيَّة، ظَاهِرٌ بِهَا فِي عَيْنِ تَحَقُّقِ الْخُصُوصِيَّةِ، حَتَّىٰ لَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «**أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِي**» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَعْرِفَةُ الْوَلِيِّ أَصْعَبُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ظَاهِرٌ بِجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَمَتَىٰ تَعْرِفُ مَخْلُوقًا مِثْلَكَ يَأْكُلُ كَمَا تَأْكُلُ وَيَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُ؟!».

قَالَ فِي «**لَطَائِفِ الْمِنَنِ**»: «وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَكَ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ طَوَىٰ عَنْكَ وُجُودَ بَشَرِيَّتِهِ، وَأَشْهَدَكَ وُجُودَ خُصُوصِيَّتِهِ».

قُلْتُ: فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ سَرَىٰ مِنْ سِرِّهِ لِسِرِّكَ مَا يُوجِبُ خُضُوعَكَ لَهُ وَفَنَاءَكَ فِي مَحَبَّتِهِ، دُونَ عِلَّةٍ وَلَا نَظَرٍ لِأَمْرٍ تَرْتَجِيهِ، حَتَّىٰ يَصِيرَ إِمْدَادُكَ مِنْ إِمْدَادِهِ، وَكُلُّ مُرَادِكَ تَابِعًا لِمُرَادِهِ، مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ وَلَا تَرَدُّدٍ وَلَا اعْتِبَارِ شَيْءٍ، بَلْ يَصِيرُ رَوْحَ رُوحِكَ وَرَاحَةَ وُجُودِكَ، فَلَمْ تَبْقَ فِيكَ لِغَيْرِهِ بَقِيَّةٌ، وَلَا تَسْتَثْنِي مِنْ وُجُودِكَ عَمَلًا وَلَا نِيَّةً وَلَا هِمَّةً لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَنْفَعُ الْعَبْدَ مِنَ الْوَلِيِّ بِنِيَّتِهِ عَلَىٰ قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا كَمَا قِيلَ:

---

(1) لطائف المنن (ص71 ـ 72)

علىٰ قَدرِ أَهْلِ العَزمِ تَأتي العزائمُ ....

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا ذُكِرَ حَصَلَ لَكَ عَلَىٰ قَدْرِ مَا تَحَقَّقَ مِنِ اعْتِقَادِكَ وَمَحَبَّتِكَ إِذْ قَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ بِأَنَّ مَنْ خَالَطَ وَلِيًّا أَوْ عَرَفَهُ لَابُدَّ أَنْ يَنْتَفِعَ مِنْهُ بِأَمْرٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ عَلَىٰ قَدْرِ الصِّدْقِ وَالفَيْضِ وَالهِمَّةِ.

مطلب أقسام الناس في النفع والانتفاع

ثُمَّ النَّاسُ فِي هَذَا البَابِ أَرْبَعَةٌ:

قف علىٰ من نفعه الله بنفسه ولم ينفع به عباده

ـ **الأَوَّلُ**: رَجُلٌ نَفَعَهُ اللهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَنْفَعْ بِهِ عِبَادَهُ، وَهُوَ الصَّالِحُ الخَفِيُّ **التَّقِيُّ المُعْتَزِلُ** الَّذِي لَا تَوَجُّهَ لَهُ، وَلَا تَوَجُّهَ لِأَحَدٍ إِلَيْهِ. وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ العُبَّادِ **وَالزُّهَّادِ** وَأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالسَّدَادِ، فَهُمْ لَا يُعْرَفُونَ، وَإِذَا عُرِفُوا لَا يَنْفَعُونَ، إِلَّا **مِنْ حَيْثُ التَّبَرُّكُ** بِهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

قف علىٰ من نفع الله به العباد ولم ينفعه بنفسه

ـ **الثَّانِي**: رَجُلٌ نَفَعَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَلَمْ يَنْفَعْهُ بِنَفْسِهِ، وَهُمُ الْفُقَهَاءُ **وَالعُلَمَاءُ** الَّذِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ أَعْمَالٌ ثَابِتَةٌ وَلَا أَحْوَالٌ صَحِيحَةٌ، بَلْ قَنِعُوا **بِالرُّسُومِ**، وَاشْتَغَلُوا بِالمَنْطُوقِ وَالمَفْهُومِ.

قف علىٰ القسم الثاني من الذين نفع الله بهم العباد ولم ينفعهم بأنفسهم

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الأَحْوَالِ الغَالِبَةِ الَّذِينَ لَا تَجْرِي حَرَكَاتُهُمْ بِمُقْتَضَىٰ الشَّرْعِ **وَالحِكْمَةِ** لِسَلْبِهِمْ عَنِ اخْتِيَارِهِمْ مَعَ تَحَقُّقِ اخْتِصَاصِهِمْ بِالكَرَامَاتِ وَنَحْوِهَا **حَيْثُ تُلْتَمَسُ** بَرَكَاتُهُمْ وَتُسْتَجَابُ دَعَوَاتُهُمْ وَتَنْفُذُ فِي الوُجُودِ هِمَّتُهُمْ، **يَنْتَفِعُ بِهِمْ** مَنْ تَوَجَّهَ لَهُمْ، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِأَنْفُسِهِمْ.

قف علىٰ من نفعه الله بنفسه ونفع به عباده

ـ **الثَّالِثُ**: رَجُلٌ نَفَعَهُ اللهُ بِنَفْسِهِ وَنَفَعَ بِهِ عِبَادَهُ، وَهُمُ الْعُلَمَاءُ العَامِلُونَ **العَارِفُونَ** المُرْشِدُونَ الَّذِينَ أُيِّدُوا بِالعِلْمِ، وَخُصُّوا بِالبَصِيرَةِ، وَظَهَرُوا

بِالأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ، وَتَأَدَّبُوا بِالآدَابِ السَّدِيدَةِ، فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ العَقْلِ وَالدِّيَانَةِ وَالمُرُوءَةِ مَا يُوجِبُ الانْقِيَادَ إِلَيْهِمْ، وَالاعْتِمَادَ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَيْهِمْ؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِمْ بِالتَّجْرِبَةِ، وَتَحَقُّقِ دِيَانَتِهِمْ بِالسُّنَّةِ، وَكَمَالِ مُرُوءَتِهِمْ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَهُمْ سُرُجُ الهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْهُمُ الْعِلْمُ وَالحَالُ، وَيُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِي تَحْقِيقِ الأَعْمَالِ، وَالإِفَادَةِ بِالهِمَّةِ وَالإِرْشَادِ بِالحَالِ.

وَغَيْرُهُمْ وَإِنْ ثَبَتَتْ خُصُوصِيَّتُهُ وَظَهَرَتْ مَزِيَّتُهُ لَمْ تُؤْمَنْ غَائِلَتُهُ، فَيُتَبَرَّكُ بِهِ لِمَكَانِ مَزِيَّتِهِ، وَلَا يُقْتَدَىٰ بِهِ خَوْفًا مِنْ تَقَلُّبِهِ وَعَدَمِ كِفَايَتِهِ.

فَاعْرَفْ ذَلِكَ، وَلَا تَقْتَدِ إِلَّا بِعَارِفٍ عَالِمٍ مُتَأَدِّبٍ بِآدَابِ الشَّرْعِ وَالحَقِيقَةِ، وَجَدْتَ مِنْهُ نَفْحَةَ الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ بِسَرَيَانِ حَقِيقَةِ إِشَارَتِهِ فِيكَ، فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «أَبُو مَدْيَنَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«الشَّيْخُ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ ذَاتُكَ بِالتَّقْدِيمِ، وَسِرُّكَ بِالتَّعْظِيمِ. الشَّيْخُ مَنْ هَذَّبَكَ بِأَخْلَاقِهِ، وَأَدَّبَكَ بِإِطْرَاقِهِ، وَأَنَارَ بَاطِنَكَ بِإِشْرَاقِهِ. الشَّيْخُ مَنْ جَمَعَكَ فِي حُضُورِهِ، وَحَفِظَكَ فِي مَغِيبِهِ»**.

وَقَالَ الشَّيْخُ «أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الشَّيْخُ مَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ رَاحَتِكَ، لا عَلَىٰ تَعَبِكَ[1]، وَكُلُّ شَيْخٍ لا تَصِلُ إِلَيْكَ أَمْدَادُهُ مِنْ بَعِيدٍ لا تَنْتَفِعُ بِهِ مِنْ قَرِيبٍ»، أَوْ كَمَا قَالَ.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تَصْحَبْ مَنْ يُؤْثِرُ نَفْسَهُ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لَئِيمٌ، وَلا مَنْ يُؤْثِرُكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ قَلَّ مَا يَدُومُ، وَاصْحَبْ مَنْ إِذَا ذُكِرَ ذُكِرَ اللهُ، فَاللهُ يُغْنِي بِهِ إِذَا شَهِدَ، وَيَنُوبُ عَنْهُ إِذَا فُقِدَ، ذِكْرُهُ نُورُ القُلُوبِ، وَمُشَاهَدَتُهُ مِفْتَاحُ الغُيُوبِ»[2].

وَقَالَ «أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيُّ»[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا جَمَعَ العُلُومَ كُلَّهَا، وَصَحِبَ طَوَائِفَ النَّاسِ، لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الرِّجَالِ إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ مِنْ شَيْخٍ أَوْ إِمَامٍ أَوْ مُؤَدِّبٍ نَاصِحٍ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ فِي آدَابِهِ مِنْ آمِرٍ لَهُ وَنَاهٍ يُرِيهِ عُيُوبَ أَعْمَالِهِ وَرُعُونَاتِ نَفْسِهِ لا يَجُوزُ الاقْتِدَاءُ بِهِ فِي تَصْحِيحِ المُعَامَلَاتِ».

---

(1) قال ابن عطاء الله السكندري: وكان الشيخ أبو العباس المرسي لا يدلّ المريدَ علىٰ **المتاعبِ** والمشقات، ولا يلزمُه ذلك. وكان يقول عن شيخه أبي الحسن: ليس الرجل من **دلَّكَ علىٰ تعبِك**، إنما الرجلُ من دلَّك علىٰ راحتكَ». (لطائف المنن، ص117)

(2) ذكره الشيخ زروق في رسالة الأمهات، ثم قال معلقا: علامته الإعراض عن كل شيء **سوىٰ مولاه** بحيث لا يبالي بالخَلْق في إقبال ولا إدبار وإن كان يتأثر بهم، فلا يرجع إليهم عند **الحاجة، ولا** يعتب عليهم عند اللجاجة؛ لوقوفه مع مولاه في كل أحواله. (نقله ابن عياد في **المفاخر** العلية في المآثر الشاذلية ، ص132)

(3) هو: محمد بن عبد الوهاب الثقفي، أبو علي: الإمام في الشريعة والوعظ. سمع أبا حفص **الحداد** وحمدونا القصار، وبه ظهر التصوف بنيسابور. مات سنة 320هـ. من كلامه: «من **غلبه هواه** توارىٰ عنه عقله». (طبقات الصوفية لابن الملقّن، ص 50)

وَقَالَ الشَّيْخُ «**أَبُو مَدْيَنَ**» رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**مَنْ لَمْ يَأْخُذِ الأَدَبَ عَلَىٰ المُتَأَدِّبِينَ أَفْسَدَ مَنْ يَتَّبِعُهُ**». انْتَهَىٰ.

ويخرَّجُ مِنْ كَلَامِهِمْ أَنَّهُ لَا يُقْتَدَىٰ إِلَّا بِمَنِ اجْتَمَعَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ:

- العِلْمُ.
- وَالهِمَّةُ.
- وَالحَالُ.
- وَالأَدَبُ.
- وَالتَّجْرِبَةُ.

وَلَا يُقْتَدَىٰ بِغَيْرِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ عِلْمٍ وَإِنْصَافٍ فَيُؤْخَذُ بِعِلْمِهِ وَلَا يُنْظَرُ لِفِعْلِهِ، وَلَا تُسَلِّمُ النُّفُوسُ لَهُ وَإِنْ كَانَ تَقِيًّا نَقِيًّا؛ لِعَدَمِ الوُثُوقِ بِهِ، فَاعْرَفْ ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: طَلَبْنَا المَشَايِخَ فَلَمْ نَجِدْهُمْ، وَوَجَدْنَاهُمْ فَلَمْ نَعْرِفْهُمْ.

فَاعْلَمْ أَنَّ القَاطِعَ عَنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

ـ **أَحَدُهَا**: النَّظَرُ فِي أَحْوَالِهِ بِعَيْنِ الكَمَالِ المُنَافِي لِوُجُودِ البَشَرِيَّةِ، أَوِ المُوَافِقِ لَهَا عَلَىٰ وَجْهِ الكَمَالِ الكَامِلِ، حَتَّىٰ لَوْ رَأَيْتَ مِنْهُ نُقْصَانًا مَّا سَقَطَ اعْتِبَارُهُ عِنْدَكَ، وَذَلِكَ هُوَ المُقْتَضِي لِسُقُوطِ أَهْلِ الاخْتِصَاصِ مِنْ عَيْنِ أَكْثَرِ العَامَّةِ وَأَهْلِ الاصْطِلَاحَاتِ.

ـ **الثَّانِي**: الرُّجُوعُ لِمَا يَجِدُهُ النَّاظِرُ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَحَالٍ وَطَبْعٍ، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوَافِقْ مُرَادَهُ وَلَا يَجْرِي لَهُ عَلَىٰ مَا يُقَدِّرُ فِي نَفْسِهِ لَا يَرَاهُ شَيْئًا، وَإِنْ رَآهُ فَلَا يَنْقَادُ لَهُ، وَإِنِ انْقَادَ لَهُ فَلَا يُمْكِنُهُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ.

ـ **الثَّالِثُ**: التَّطَلُّعُ لِلْفَوَائِدِ وَالكَرَامَاتِ، فَإِذَا لَمْ يَرَوْا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَعُدُّوهُ شَيْئًا، وَذَلِكَ مِنَ الجَهْلِ وَاعْتِمَادِ الوَهْمِ وَتَقَيُّدِهِمْ بِالعَوَائِدِ الَّتِي دَعَتِ العَوَامَّ إِلَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ وَلَا يُرِيدُونَ إِلَّا مَنْ يُبَدِّلُ لَهُمُ القَدَرَ، أَوْ يَكْشِفُ لَهُمُ الغَيْبَ، أَوْ يُخَالِفُ الحِكْمَةَ بِأَفْعَالٍ مُسْتَبْشَعَةٍ، أَوْ يَخْرِقُ الشَّرِيعَةَ بِأُمُورٍ مُنْكَرَةٍ أَوْ يَضُرُّ بِنَفْسِهِ لِأَجْلِهِمْ بِالتَّعَرُّضِ لِلْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ.

نَعَمْ، الوَاجِبُ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ اتِّخَاذَ الشَّيْخِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ أَمْثَلِ أَهْلِ وَقْتِهِ مِمَّنْ لَهُ نِسْبَةٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، فَيَقْتَدِي بِهِ عَلَىٰ سَبِيلِ الأُخُوَّةِ أَوْ عَلَىٰ سَبِيلِ المَشْيَخَةِ بَعْدَ تَحَقُّقِ الأُصُولِ فِيهِ، وَهِيَ خَمْسَةٌ:

مطلب
الأصول التي ينبغي تحققها في الشيخ المقتدىٰ به

- تَرْكُ الطَّمَعِ بِرَفْعِ الهِمَّةِ، وَالاغْتِنَاءِ بِاللهِ، وَسُهُولَةِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ سَخَاءً وَزُهْدًا فِيهَا.
- وَاسْتِعْمَالُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ طَبْعًا وَتَطَبُّعًا.
- وَالإِنْصَافُ فِي الحَقِّ بِتَرْكِ الانْتِصَافِ عِنْدَ الجَفَاءِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَقًّا لِلَّهِ وَاضِحًا.
- وَالإِعْرَاضُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا بِالفِرَارِ مِنَ الرِّئَاسَةِ وَأَهْلِهَا مَا أَمْكَنَ.

❖ وَطَلَبُ السَّلَامَةِ بِتَرْكِ الفُضُولِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ.

وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ بِشُكْرِ الكَثِيرِ، وَالرِّضَا بِاليَسِيرِ، وَعَدَمِ التَّعْرِيجِ عِنْدَ العَدَمِ، وَكَرَاهَةِ الاسْتِتْبَاعِ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلْمَنَافِعِ العَامَّةِ، وَالحِرْصِ عَلَىٰ جَبْرِ القُلُوبِ بِمَا لَا يَلْحَقُ بِهِ ضَرَرٌ دِينِيٌّ، وَتَرْكِ الدَّنَاءَاتِ عَلَىٰ الجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ.

وَبِالجُمْلَةِ فَالكَمَالُ فِي ثَلَاثَةٍ: العَقْلِ، وَالمُرُوءَةِ، وَالدِّيَانَةِ. فَمَنْ كَمُلَ عَقْلُهُ وَتَمَّتْ مُرُوءَتُهُ وَصَحَّتْ دِيَانَتُهُ فَهُوَ الكَامِلُ، وَإِنْ فَاتَتْهُ بَعْضُ الجُزْئِيَّاتِ لَمْ تَضُرَّهُ، وَإِنْ طَرَأَتْ فَلْتَةُ نَقْصٍ لَمْ تَقْدَحْ فِيهِ.

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ التَّوَدُّدُ إِلَىٰ النَّاسِ**»[1]، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِاسْتِعْمَالِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ بِأَنْ يَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَيُعْرِضَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَلَا يَتَصَدَّىٰ لِشَيْءٍ مِمَّا تَتَقَوَّىٰ عَلَيْهِ دَوَاعِيهِمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ؛ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ وَالسَّلَامَةِ، وَفِي مَعْنَىٰ ذَلِكَ قِيلَ:

وَقَائِلَةٍ مَالِي أَرَاكَ مُجَانِبًا ... أُمُورًا وَفِيهَا لِلتِّجَارَةِ مَرْبَحُ
فَقُلْتُ لَهَا مَا لِي بِرِبْحِكِ حَاجَةٌ ... فَنَحْنُ أُنَاسٌ بِالسَّلَامَةِ نَفْرَحُ

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، برقم 6236.

❖ فَصْلٌ ❖

مطلب الواجبات الخمس على المريد تجاه شيخه

فَإِذَا وَجَدَ المُرِيدُ الشَّيْخَ المَوْصُوفَ بِمَا ذُكِرَ وَجَبَ عَلَيْهِ فِي حَقِّهِ أُمُورٌ خَمْسَةٌ، إِنْ رَاعَاهَا[1] انْتَفَعَ بِهِ، وَإِلَّا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ:

ـ أَوَّلُهَا: أَنْ يَنْخَلِعَ عَنْ وُجُودِهِ لِوُجُودِهِ[2]، فَيَتْرُكُ عَقْلَهُ لِعَقْلِهِ[3]، وَعِلْمَهُ لِعِلْمِهِ[4]، وَدِيَانَتَهُ لِدِيَانَتِهِ[5]، وَمُرُوءَتَهُ لِمُرُوءَتِهِ، فَلَا يَأْخُذُ إِلَّا مَا يَدُلُّهُ عَلَيْهِ عِلْمًا وَعَقْلًا وَدِيَانَةً وَمُرُوءَةً، وَلَا يَخْتَارُ شَيْئًا مِمَّا يُخَالِفُ أَمْرَهُ وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ الصَّوَابُ فِي خِلَافِهِ، مَا لَمْ يَكُنْ مُجْمَعًا عَلَىٰ تَحْرِيمِهِ فَيَحْتَالُ فِي الانْصِرَافِ عَنْهُ بِمَا لَا يُظْهِرُ بِهِ مُنَاقَضَةَ شَيْخِهِ، إِلَّا أَنْ لَا يُمْكِنهُ ذَلِكَ فَتَجِبُ المُخَالَفَةُ بِنَوْعٍ مِنَ الاعْتِذَارِ وَالتَّأَدُّبِ، بِخِلَافِ مَا اخْتُلِفَ فِيهِ فَإِنَّ بَصِيرَةَ الشَّيْخِ مُقَدَّمَةٌ فِيهِ وَخَطَأُ شَيْخِهِ أَوْلَىٰ مِنْ صَوَابِهِ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِيمَا قَالَهُ «مَالِكٌ» فِي مَسْأَلَةِ الفِطْرِ عَمْدًا فِي صَوْمِ التَّطَوُّعِ إِذْ قَالَ: «يَمْتَنِعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَمْرِ شَيْخٍ وَوَالِدٍ».

---

(1) رَاعَىٰ الأَمْرَ: أخذه بعين الاعتبار.

(2) لأن الشيخ سخَّر وجودَه لتربية المريد وإيصاله إلىٰ ربِّه، فإذا لم ينخلع المريد من وجوده بقي مع نفسه ولم يسلك طريق ربِّه.

(3) لأن من شروط الشيخ أن يكون ذا عقل لتدبير معاش المريد كما تقدَّم.

(4) لأن من شروط الشيخ أن يكون ذا علم لتدبير معاد المريد كما تقدَّم.

(5) لأن من شروط الشيخ صحة الديانة كما تقدَّم.

قَالَ «ابْنُ غَالِبٍ»[1]: لِأَنَّ عَقْدَهُ مَعَ شَيْخِهِ أَنْ لَا يَعْصِيَهُ سَابِقٌ عَلَىٰ عَزْمِ صَوْمِهِ، فَوَجَبَ الوَفَاءُ بِالأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي إِنِ اعْتَرَضَهُ.

- **الثَّانِي**: أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لَهُ بِرَدٍّ وَلَا نَقْدٍ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، كَانَ مُوَافِقًا أَوْ مُخَالِفًا[2]؛ فَإِنَّ مَنْ قَالَ لِأُسْتَاذِهِ: «لِمَ؟!» لَمْ يُفْلِحْ أَبَدًا، أَيْ: لَا يَظْفَرُ بِمُرَادِهِ مِنْهُ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ فَسَدَ عَلَىٰ يَدِ شَيْخِهِ لَا يُمْكِنُ جَبْرُهُ عَلَىٰ يَدِ غَيْرِهِ.

هَكَذَا قَالَ المَشَايِخُ، وَهُوَ صَحِيحٌ وَاضِحٌ مُجَرَّبٌ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنْ مُفَارَقَةِ مُوسَىٰ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ الاعْتِرَاضِ، وَإِنْ كَانَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا طَلَبَ التَّعْلِيمَ بِاتِّبَاعِهِ[3]، وَشَرَطَ المُفَارَقَةَ عِنْدَ تَكَرُّرِ اعْتِرَاضِهِ[4]، فَافْهَمْ.

---

(1) هو عبد السلام بن غالب المسراتي القيرواني، أبو محمد، ويلقب بابن غَلَّابٍ، فقيه مالكيٌّ، من كتبه «الوجيز» والظنّ أن الشيخ زروقا ينقل منه، وكذلك كتاب الزهر والأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ.

(2) أي: في نظر المريد لأنه لم يطلع علىٰ دليل شيخه.

(3) إذ قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦]، ولم يلتزم التسليم للخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(4) إذ قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾[الكهف: ٧٦]

نَعَمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ قَدْ فَعَلَ[1]، وَلَمْ يَأْمُرْهُ[2]، فَوَجَبَ التَّسْلِيمُ لِفِعْلِهِ، وَعَدَمُ الاعْتِرَاضِ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَمْ يَجُزِ الْاِقْتِدَاءُ بِهِ فِي غَيْرِ أَمْرِهِ الْمُوَافِقِ، بَلْ قَالُوا: إِنَّ اقْتِدَاءَ الْمُرِيدِ بِشَيْخِهِ لَا يَجُوزُ إِلَّا لِأَهْلِ النِّهَايَاتِ، بَلْ لِكُلِّ أَحَدٍ حَالٌ يَخُصُّهُ وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَاتِّبَاعُ الْمَرْسُومِ أَوْلَىٰ مَعَ الْتِزَامِ الآدَابِ، فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ.

ـ الثَّالِثُ: أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَىٰ شَيْخِهِ فِي مَا هُوَ بِهِ مِنَ الاقْتِدَاءِ وَغَيْرِهِ، بِخِلَافِ العِلْمِ فَإِنَّ الحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، وَالفَقِيرُ مِثْلُ النَّحْلَةِ تَأْكُلُ مِنْ كُلِّ نَوَارٍ وَلَا تَبِيتُ إِلَّا فِي جُحْرِهَا وَإِلَّا لَمْ يُنْتَفَعْ بِعَسَلِهَا، وَجُحْرُهَا هُوَ الكِتَابُ العَزِيزُ وَالحَدِيثُ.

وَاعْتَبِرْ هَذَا بِحَالِ يُوشَعَ مَعَ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ إِذْ لَقِيَا الخَضِرَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَلَمْ يَمُدَّ يُوشَعُ عَيْنَهُ لِمَا أَرَادَهُ مُوسَىٰ، وَلَا تَوَجَّهَ الخَضِرُ لَهُ كَمَا تَوَجَّهَ لِمُوسَىٰ، وَلَا خَرَجَ مُوسَىٰ عَنْ حُكْمِهِ فِي أَمْرِ يُوشَعَ، وَكُلُّ مَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَىٰ الْمَشَايِخِ مَعَ وُجُودِ شَيْخِهِ فَلَا يَنْتَفِعُ بِشَيْخِهِ وَلَا بِمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ لَهُ؛ لِسُقُوطِ الأَوَّلِ مِنْ يَدِهِ وَدُخُولِ الحَيْرَةِ عَلَيْهِ فِي صُحْبَةِ الثَّانِي بِمَا يَرَاهُ مِنِ اخْتِلَافِ

---

(1) أي: فارقَهُ لأن موسىٰ الْتَزَمَ التسليم للخضر ولم يلتَزِم اتباعه فيما يأمره به من صورة المنكر.

(2) قال الشيخ زروق: اعتبر بقصّة الخضر؛ إذ لم يأمر موسىٰ بما يفعله، ولا شرط عليه قبوله لما أمره به، بل شرط الصبر عليه، وأنكر منه الإنكارَ لما الْتَزَمَهُ مِن وجود الاصطبار. (عدة المريد الصادق، ص185)

حَالِهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا السِّرُّ فِي الحُرْمَةِ وَالخِدْمَةِ، فَبِالحُرْمَةِ ارْتَفَعُوا، وَبِالخِدْمَةِ انْتَفَعُوا، فَاعْرَفْ ذَلِكَ.

ـ **الرَّابِعُ**: أَنْ يُعْطِيَ مَخَالَطَتَهُ حَقَّهَا، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ بِالحُرْمَةِ وَالأَدَبِ، وَيَجْلِسُ بِالخَشْيَةِ وَالطَّلَبِ، وَيَخْرُجُ بِذَلِكَ مُقَدِّرًا أَنَّهُ لَا يُفَارِقُهُ فِي حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَإِنْ فَارَقَهُ فَاللهُ وَكِيلُهُ عَلَيْهِ، كَمَا أَنَّهُ نَائِبٌ عَنْهُ فِيهِ، فَيَحْفَظُهُ فِي مَغِيبِهِ كَمَا يَحْفَظُهُ فِي حُضُورِهِ أَوْ أَقْوَىٰ بِنَوْعٍ مِنَ المُرَاقَبَةِ، حَتَّىٰ أَنَّهُ لَوْ وَقَعَ لَهُ مُخَالَفَةٌ أَرَادَ إِخْفَاءَهَا مِنْهُ بَادَرَ لِإِظْهَارِهَا لَهُ، وَلَوْ تَحَرَّكَتْ نَفْسُهُ لِذَلِكَ بِأَدْنَىٰ حَرَكَةٍ فَلَا يُسَامِحهَا لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خِيَانَةِ السِّرِّ، بَلْ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُرِيدُهُ، وَيَأْتِي بِذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ العَرْضِ وَالتَّصْرِيحِ، لَا عَلَىٰ وَجْهِ التَّعْرِيضِ وَالاسْتِشَارَةِ، فَإِذَا ذَكَرَ مَا عَرَضَ لَهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِطَلَبِ الجَوَابِ بِوَجْهٍ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَقَعَ فِي خِيَانَةِ السِّرِّ وَإِسْقَاطِ الحُرْمَةِ، وَهُمَا أَضَرُّ شَيْءٍ لِلْمُرِيدِ.

وَلَا يَذْكُرُ عِنْدَهُ أَحَدًا مِنَ المَشَايِخِ الَّذِينَ صَحِبَهُمْ بِوَجْهِ المَشْيَخَةِ وَإِنْ عَرَفَ أَنَّهُ تَحَقَّقَ أَمْرَهُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِسَاءَةُ أَدَبٍ وَإِسْقَاطُ حُرْمَةٍ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُهُمْ بِوَجْهٍ يُفْهِمُ أَنَّهُ أَجْنَبِيٌّ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ لِقُلُوبِ المَشَايِخِ غَيْرَةً، وَحِفْظُ قُلُوبِ المَشَايِخِ مُهِمٌّ جِدًّا، فَاعْرَفْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ أَهَمُّ المُهِمَّاتِ، وَقَدْ هَلَكَ قَوْمٌ مِنَ المُرِيدِينَ وَإِنْ وَصَلُوا، أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ البَلَاءِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

ـ الخَامِسُ: أَنْ لَا يَكْتُمَهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ قَلَّ أَوْ جَلَّ، حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا[1]، كَمَا فِي جَانِبِ الشَّيْخِ أَوْ غَيْرِهِ، إِنْ طَلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ، بَلْ يُفَاتِحُهُ بِهِ قَبْلَ طَلَبِهِ، لَا سِيَّمَا إِنْ خَطَرَ بِالبَالِ وُقُوعُ كَتْمِهِ.

علة عدم كتم المريد أخباره عن شيخه وإن كانت معاصي

وَإِنَّمَا يَذْكُرُ القَبِيحَ شَرْعًا لِطَلَبِ التَّنَصُّلِ مِنْهُ بِدَعْوَةٍ صَالِحَةٍ أَوْ هِمَّةٍ صَادِقَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ نَافِعَةٍ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَلَا يَذْكُرُ ذَلِكَ بَعْدَ ذِكْرِهِ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَطْلُبَهُ بِهِ الشَّيْخُ. وَيُمْنَعُ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ غَيْرِهِ.

وَاسْتِئْذَانُهُ فِي العَوَائِدِ وَالأَسْبَابِ وَالمَنْدُوبَاتِ مُهِمٌّ، إِلَّا مَا يَتَكَرَّرُ فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ، وَيَكُونُ مُسْتَبْشَعًا أَوْ ضَرُورِيًّا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهِ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثٍ:

- حِرْصِ النَّفْسِ عَلَىٰ كِتْمَانِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عِلَّةٌ وَخِيَانَةٌ.
- وَخَوْفِ ضَرَرٍ مِنْهُ أَوْ تَشْتِيتٍ لِيُدَلَّ عَلَىٰ مَا يَدْفَعُ ذَلِكَ.

---

(1) قال القشيري في باب الوصية للمريدين من رسالته: (ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُ سِرِّهِ) فلا يفوه بما يرد عليه من واردات الحقِّ وإشارات الصدق إلا بحسب الإذن الشرعي (حتىٰ عن زرّه) القريب من قميصه الذي يضعه في طوقه، وهو مبالغة في كتم حاله (إلا عن شيخه) لأن الشيخ قد تركَ شغله مع مولاه في خاصته وعاهد الله علىٰ أن يفرّغ قلبه في صلاح هذا المريد، فحقُّه أن لا يكتم عنه شيئًا مما يتعلق به مما يراهُ صلاحًا له من جوع أو سهر أو غيرها (ولو كتم نفسًا من أنفاسه) والمراد حديثًا من خواطر قلبه (عن شيخه فقد خانه في حقِّ صحبته). (الرسالة القشيرية، بشرح الشيخ زكريا الأنصاري وحاشية الشيخ العروسي، ج4/ ص359)

- وَحِفْظِ الحُرْمَةِ عِنْدَ اللِّقَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] الآيَة.

وَمَدَارُ هَذَا كُلِّهِ عَلَىٰ ثَلَاثَةٍ:

- تَحْقِيقِ وُدِّهِ.
- وَالوَفَاءِ بِعَهْدِهِ.
- وَقِيَامِهِ مَعَهُ بِغَايَةِ جُهْدِهِ.

فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ اللهُ لَهُ، وَأَعَانَهُ عَلَىٰ مَا هُوَ بِهِ، وَفَتَحَ لَهُ مِنْ عِنْدِهِ وَإِنْ كَانَ شَيْخُهُ دُونَ مَا يَعْتَقِدُهُ؛ لِأَنَّ مُعَامَلَتَهُ فِي ذَلِكَ مَعَ رَبِّهِ لَا مَعَ شَيْخِهِ، وَاللهُ وَلِيُّ الهِدَايَةِ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ[1].

---

(1) قال الشيخ زروق: المريدُ ينتفعُ بصِدْقِه وإن كان الشيخُ مخالفًا، ما لم يتَّبِعْهُ في مخالَفَتِه فيضلَّ أعظمَ مِن ضلالِهِ، فاعرف هذا الأمرَ حقَّهُ فإنه مهمٌّ. (عدة المريد الصادق، ص185)

❖ فَصْلٌ ❖

مطلب
حقوق المريد على
شيخه خمسة

وَحَقُّ المُرِيدِ عَلَىٰ الشَّيْخِ إِذَا طَرَحَ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ الصِّدْقِ **خَمْسَةٌ لَابُدَّ** لَهُ مِنْهَا:

- **أَحَدُهَا**: أَنْ يَهْتَمَّ لَهُ بِأَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ بِغَايَةِ جُهْدِهِ، فَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُ مَا **يَحْتَاجُ إِلَيْهِ** مِنْ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ حَالٍ أَوْ هِمَّةٍ أَوْ نَصِيحَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ **حُرْمَةٍ أَوْ غَيْرِ** ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ بَاعَ نَفْسَهُ مِنْهُ، فَبَاعَ الآخَرُ مِنْهُ نَفْسَهُ عَلَىٰ وَجْهِ **المُلَازَمَةِ** وَاللُّزُومِ، فَإِنْ قَصَّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ حُقُوقِهِ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ **وَالأَمَانَةَ**.

على الشيخ أن لا
يقصّر في شيء من
حقوق المريد

- **الثَّانِي**: أَنْ يَرْفَعَ كُلْفَتَهُ عَنْهُ بِكُلِّ وَجْهٍ، فَلَا يُكَلِّفُهُ بِخِدْمَةٍ وَلَا حُرْمَةٍ وَلَا **مَالٍ وَلَا غَيْرِهِ**، إِلَّا أَنْ يَرَىٰ لَهُ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً أَوْ مَصَالِحَ نَاجِزَةً أَوْ مُتَرَقَّبَةً، **أَوْ يَضْطَرَّ إِلَىٰ** ذَلِكَ اضْطِرَارَ الجَائِعِ لِلْمَيْتَةِ، فَيَتَصَرَّفُ فِيهِ بِحُكْمِ الصَّدَاقَةِ **عَلَىٰ الوَجْهِ الَّذِي** أُبِيحَ لَهُ بِقَدْرِهِ فِي وَقْتِ الاحْتِيَاجِ لَا فِي غَيْرِهِ.

على الشيخ أن يتفقد
أحوال المريد في
مختلف الأوقات

- **الثَّالِثُ**: أَنْ يَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ بِرُؤْيَةٍ آخِرَ نَهَارِهِ وَآخِرَ **لَيْلِهِ فَقَدْ** كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَأْتِي دَارَ «**أَبِي بَكْرٍ**» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فِي كُلِّ يَوْمٍ** مَرَّةً بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، وَتَفَقَّدَ «**عَلِيًّا**» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ «**فَاطِمَةَ**» أَكْرَمَهَا

اللهُ لِصَلَاتِهِمَا مِنَ اللَّيْلِ[1]، وَيَجْلِسُ لِأَصْحَابِهِ لِاخْتِبَارِ مَا عِنْدَهُمْ لِعَرْضِ مَرَائِيهِمْ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَيَطْرَحُ المَسَائِلَ عَلَيْهِمْ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

ـ **الرَّابِعُ**: أَنْ يَنْظُرَهُمْ بِعَيْنِ الأُخُوَّةِ فِي حُقُوقِهِ، وَبِعَيْنِ النُّبُوَّةِ فِي حُقُوقِ اللهِ، فَيُطَالِبُهُمْ بِحُقُوقِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ المُشَاحَّةِ، وَبِحُقُوقِهِ عَلَىٰ المُسَامَحَةِ.

وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُطَالِبُوا أَنْفُسَهُمْ بِحُقُوقِ المَشْيَخَةِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَرَوُا الْمَشْيَخَةَ لَمْ يَقُومُوا بِحَقِّ أُخُوَّةٍ وَلَا غَيْرِهَا، وَإِنْ رَأَوْهَا فَبِالأَحْرَىٰ أَنْ يَقُومُوا بِحُقُوقِ الأُخُوَّةِ.

وَإِنْ رَآهُمْ بِعَيْنِ الأُخُوَّةِ رَحِمَهُمْ، وَإِنْ رَآهُمْ بِعَيْنِ المَشْيَخَةِ أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَأَهْلَكَهُمْ؛ إِذْ لَا يَرَىٰ إِلَّا نَقْصًا مِنْهُمْ وَكَمَالًا مِنْ نَفْسِهِ، فَاعْرَفْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مُهِمٌّ فِي حَقِّ الفَرِيقَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ـ **الخَامِسُ**: أَنْ يَكُونَ تَصَرُّفُهُ فِيهِمْ بِالبَصِيرَةِ وَالهُدَىٰ، لَا بِحُكْمِ العَادَةِ وَالهَوَىٰ، فَلَا يُرِيدُ بِهِمُ اسْتِكْثَارًا وَلَا تَعَزُّزًا وَلَا اسْتِظْهَارًا، وَلَا يَسْمَحُ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ وَيَزْجُرُهُمْ عَلَيْهِ، وَيُعَنِّفُهُمْ فِي مَحَلِّ التَّعْنِيفِ عَلَىٰ قَدْرِ احْتِمَالِهِمْ، وَيَرْفُقُ بِهِمْ فِي الأُمُورِ عَلَىٰ حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ بِالصَّوْلَةِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَلَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِمْ بِأَحْوَالِهِ العِرْفَانِيَّةِ، إِلَّا حَيْثُ

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تحريض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب وطرق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة وعليا عليهما السلام ليلة للصلاة.

يَكُونُ مَغْلُوبًا أَوْ مَأْمُورًا، أَوْ يَرَىٰ لِذَلِكَ وَجْهًا فِي الحَقِّ أَوْ مَعْنًىٰ مِنَ الحَقِيقَةِ، وَيُعْطِي كُلًّا مِنَ المُرِيدِينَ مَا يَلِيقُ بِهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَا يَسْمَحُ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ مُخَالَفَةِ الأَدَبِ أَوْ مُفَارَقَةِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَوُجُوهِ التَّأْوِيلِ وَاسْتِخْفَافِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ لِقُلُوبِ المَشَايِخِ تَقَلُّبًا رُبَّمَا أَضَرَّ بِالمُرِيدِينَ عِنْدَ الخُرُوجِ بِثَوْرَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، فَاحْذَرْ ذَلِكَ بِغَايَةِ جُهْدِكَ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

❖ فَصْلٌ ❖

فِيمَا يَعْرِضُ لِلْمُرِيدِ مِنْ شَيْخِهِ، وَمَا يُطْلَبُهُ فِي حَقِّهِ

اعْلَمْ أَنَّ مَا يَعْرِضُ مِنَ الشَّيْخِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُنَافِيًا لِلْأُصُولِ وَالفُرُوعِ، أَوْ قَادِحًا فِي المَرْتَبَةِ، أَوْ مُشَوِّشًا فِي الحَالِ أَوْ فِي المَآلِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُسَلَّمُ لَهُ فِيهِ وَلَا يُقْتَدَىٰ بِهِ، إِلَّا مَا كَانَ مُنَافِيًا لِلْأُصُولِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ:

ـ **أَحَدُهَا**: الاسْتِرْسَالُ مَعَ الطَّمَعِ فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ وَالحَالَاتِ، لَا وُقُوعُهُ مَرَّةً أَوْ فِي حَقِّ شَخْصٍ دُونَ آخَر أَوْ بِمَحَلٍّ دُونَ غَيْرِهِ.

ـ **الثَّانِي**: النَّظَرُ لِلْخَلَائِقِ فِي المُعَامَلَاتِ بِالتَّصَنُّعِ وَالتَّزَيُّنِ فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ، وَخُصُوصًا لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الاصْطِلَاحَاتِ، بِخِلَافِ الاسْتِظْهَارِ بِهِ لِلْمُرِيدِينَ وَأَهْلِ الطَّاعَاتِ لِيَجْلِبَهُمْ لِمَنَافِعِهِمْ أَوْ يَهْدِيَهُمْ لِمَقَاصِدِهِمْ.

ـ **الثَّالِثُ**: إِرْسَالُ الجَوَارِحِ فِي المَعَاصِي مِنْ غَيْرِ احْتِشَامٍ وَلَا تَوَقُّفٍ، بِخِلَافِ وُقُوعِهِ فِي الفَلْتَةِ وَالمَرَّةِ بِغَيْرِ الإِصْرَارِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ قَادِحٍ فِي شَأْنِهِ، وَيُتَأَوَّلُ مِنْهُ بِوَجْهِ الصَّوَابِ مَا يَقْبَلُهُ، وَمَا سِوَاهُ فَعَلَىٰ أَصْلِهِ هُوَ عَاصٍ فِيهِ فِي حَالِهِ غَيْرُ مُطَّرَحٍ لِنُدْرَتِهِ وَعَدَمِ إِصْرَارِهِ.

وَالَّذِي يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ: مَا صَحَّ لَهُ وَجْهٌ مِنَ الحَقِّ، كَمَسَائِلِ «**الخَضِرِ**»؛ إِذِ الأَمْرُ فِيهَا عَلَىٰ وُجُوهٍ مُبَاحَةٍ عِنْدَ إِخْبَارِهِ، بِخِلَافِ الزِّنَا بِالمُعَيَّنَةِ وَشُرْبِ الخَمْرِ مَعَ الإِدْمَانِ وَاللِّوَاطِ بِكُلِّ حَالٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عِصْيَانٌ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَفِسْقٌ مَعَ الدَّوَامِ، **وَالفِسْقُ يُنَافِي الوِلَايَةَ**.

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «عَمَى البَصِيرَةِ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِرْسَالِ الجَوَارِحِ فِي مَعَاصِي اللهِ، وَالتَّصَنُّعِ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالطَّمَعِ فِي خَلْقِ اللهِ، فَمَنِ ادَّعَى البَصِيرَةَ مَعَ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ فَقَلْبُهُ هَدَفٌ لِظُنُونِ النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ».

قُلْتُ: وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يُوثَقُ بِإِشَارَتِهِ؛ لِدَوَرَانِهِ مَعَ الأَغْرَاضِ، وَعَدَمِ إِبْصَارِهِ لِمَوَاقِعِ الأُمُورِ.

وَفِي الحَدِيثِ: «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَمِيلُوا إِلَى الدُّنْيَا أَوْ يُدَاخِلُوا السَّلَاطِينَ، فَإِذَا مَالُوا إِلَى الدُّنْيَا أَوْ دَاخَلُوا السَّلَاطِينَ فَاحْذَرُوهُمْ فِي دِينِكُمْ»[1]. الحَدِيثُ.

صفات أدعياء المشيخة الموجبة للحذر منهم

فَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَدَّعِي المَشْيَخَةَ مُتَلَبِّسًا بِخَمْسٍ فَاحْذَرْهُ بِغَايَةِ جُهْدِكَ:

- أَوَّلُهَا: مُوَالَاةُ السَّلَاطِينِ بِالكُلِّيَّةِ، أَوْ مُعَادَاتُهُمْ بِالكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّهُ فِي الأَوَّلِ مَفْتُونٌ وَفِي الثَّانِي مَشْغُولٌ بِمَا لَا يَعْنِي، وَعَلَامَتُهُ فِي ذَلِكَ المُبَالَغَةُ فِي الثَّنَاءِ أَوْ عَكْسُهُ.

وَالحَقُّ دُعَاؤُهُ لَهُمْ بِالإِصْلَاحِ وَالتَّيْسِيرِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ، وَحُبُّ الخَيْرِ لَهُمْ بِكُلِّ وَجْهٍ لِاحْتِيَاجِ المُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، مِنْ غَيْرِ مُوَالَاةٍ وَلَا مُعَادَاةٍ، إِلَّا حَيْثُ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ.

---

(1) حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وتعقبه السيوطي بقوله: قوله «موضوع» ممنوع، وله شواهد تفوق الأربعين فنحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحُسْن.

ـ **الثَّانِي**: غَلَبَةُ الهَوَىٰ عَلَيْهِ بِالانْتِصَارِ لِنَفْسِهِ، وَاتِّسَاعِهِ فِي التَّأْوِيلِ لِشَهَوَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ بِوُجُوهٍ مِنَ العِلْمِ تُشْبِهُ الحَقَّ وَلَيْسَتْ بِهِ.

ـ **الثَّالِثُ**: التَّوَسُّعُ فِي الدُّنْيَا بِمُضَاهَاةِ أَهْلِهَا وَالاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِفَيَضَانٍ إِلَهِيٍّ وَإِفَادَةٍ إِلَهِيَّةٍ، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ المَشَايِخِ كَذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ: المُنْكِرُ عَلَيْنَا إِمَّا فَقِيهٌ أَوْ صُوفِيٌّ، فَإِنْ كَانَ فَقِيهًا قُلْنَا لَهُ: أَتَرَىٰ أَنَّهُ حَرَامٌ هَذَا؟! وَإِنْ كَانَ صُوفِيًّا قُلْنَا لَهُ: أَتَرَىٰ لَنَا فِيمَا نَحْنُ فِيهِ اخْتِيَارًا؟! فَلَا يَسْتَطِيعُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا جَوَابًا.

ـ **الرَّابِعُ**: حُبُّ الرِّيَاسَةِ، وَعَلَامَتُهُ الاسْتِتْبَاعُ، وَطَلَبُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ بِمَا أَمْكَنَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ عَلَىٰ أَمْرٍ دِينِيٍّ وَلَا غَرَضٍ شَرْعِيٍّ يَظْهَرُ وَجْهُهُ.

ـ **الخَامِسُ**: اتِّسَاعُ اللِّسَانِ بِالدَّعْوَىٰ، وَالقَدْحُ فِي أَقْرَانِهِ وَنُظَرَائِهِ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ، وَدُخُولُ كُلِّ مَدْخَلٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ سَلَفِهِ مُجَرَّدًا عَنْ غَيْرِهِمْ فِيمَا هُوَ بِهِ.

نَعَمْ! وَمَنِ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَلْيُرَافِقْهُ بِالمَعْرُوفِ، وَيَأْخُذْ بِمَا بَانَ رُشْدُهُ، وَيَتَّبِعِ الْعِلْمَ، وَلَا يُغَيِّرْ قَلْبَهُ بِمُفَارَقَتِهِ أَوْ إِسَاءَةِ الأَدَبِ مَعَهُ، وَيَصْبِرْ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ فَرَجٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ فِي شَأْنِهِ، وَيَحْذَرْ إِعَانَتَهُ

ـ **الثَّاني**: غَلَبَةُ الهَوَىٰ عَلَيْهِ بِالانْتِصَارِ لِنَفْسِهِ، وَاتِّسَاعِهِ فِي التَّأْوِيلِ لِشَهَوَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ بِوُجُوهٍ مِنَ العِلْمِ تُشْبِهُ الحَقَّ وَلَيْسَتْ بِهِ.

ـ **الثَّالِثُ**: التَّوَسُّعُ فِي الدُّنْيَا بِمُضَاهَاةِ أَهْلِهَا وَالاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِفَيَضَانٍ إِلَهِيٍّ وَإِفَادَةٍ إِلَهِيَّةٍ، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ المَشَايِخِ كَذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ: المُنْكِرُ عَلَيْنَا إِمَّا فَقِيهٌ أَوْ صُوفِيٌّ، فَإِنْ كَانَ فَقِيهًا قُلْنَا لَهُ: أَتَرَىٰ أَنَّهُ حَرَامٌ هَذَا؟! وَإِنْ كَانَ صُوفِيًّا قُلْنَا لَهُ: أَتَرَىٰ لَنَا فِيمَا نَحْنُ فِيهِ اخْتِيَارًا؟! فَلَا يَسْتَطِيعُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا جَوَابًا.

ـ **الرَّابِعُ**: حُبُّ الرِّيَاسَةِ، وَعَلَامَتُهُ الاسْتِتْبَاعُ، وَطَلَبُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ بِمَا أَمْكَنَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ عَلَىٰ أَمْرٍ دِينِيٍّ وَلَا غَرَضٍ شَرْعِيٍّ يَظْهَرُ وَجْهُهُ.

ـ **الخَامِسُ**: اتِّسَاعُ اللِّسَانِ بِالدَّعْوَىٰ، وَالقَدْحُ فِي أَقْرَانِهِ وَنُظَرَائِهِ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ، وَدُخُولُ كُلِّ مَدْخَلٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ سَلَفِهِ مُجَرَّدًا عَنْ غَيْرِهِمْ فِيمَا هُوَ بِهِ.

نَعَمْ! وَمَنِ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَلْيُرَافِقْهُ بِالمَعْرُوفِ، وَيَأْخُذْ بِمَا بَانَ رُشْدُهُ، وَيَتَّبِعِ الْعِلْمَ، وَلَا يُغَيِّرْ قَلْبَهُ بِمُفَارَقَتِهِ أَوْ إِسَاءَةِ الأَدَبِ مَعَهُ، وَيَصْبِرْ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ فَرَجٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ فِي شَأْنِهِ، وَيَحْذَرْ إِعَانَتَهُ

عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا تَلَبَّسَ بِهِ، فَإِنْ حَمَلَهُ عَلَىٰ بِدْعَةٍ[1] امْتَنَعَ، أَوْ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ خَلْفَهُ لَوْ رَآهُ مُكِبًّا عَلَىٰ أَمْرِهِ بِذَٰلِكَ وَمُعَامَلَتِهِ بِهِ تَرَكَ، كَمَا إِذَا كَانَ جَاهِلًا، وَيَكِلُ لِمَنْ تَحَقَّقَ أَمْرَهُ مِمَّنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنْ عَهْدِهِ إِلَّا فِي حِفْظِ حُرْمَتِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ قَالَ «سَهْلٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «احْذَرْ صُحْبَةَ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ: الجَبَابِرَةِ الغَافِلِينَ، وَالقُرَّاءِ المُدَاهِنِينَ، وَالمُتَصَوِّفَةِ الجَاهِلِينَ».

وصية نافعة للشيخ ابن عباد الرندي رضي الله عنه

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ عَبَّادٍ» رَحِمَهُ اللهُ: «أُوصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ لَا يَعِيهَا إِلَّا مَنْ عَقَلَ وَجَرَّبَ، وَلَا يَجْهَلُهَا[2] إِلَّا مَنْ غَفَلَ فَحُجِبَ، وَهِيَ أَنْ لَا تَأْخُذُوا فِي هَذَا العِلْمِ مَعَ مُتَكَبِّرٍ وَلَا صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَلَا مُقَلِّدٍ؛ أَمَّا الكِبْرُ فَآفَةٌ تَمْنَعُ مِنْ فَهْمِ الآيَاتِ وَالعِبَرِ، وَأَمَّا البِدْعَةُ فَتُوقِعُ فِي البَلَايَا الكُبَرِ، وَأَمَّا التَّقْلِيدُ فَيَمْنَعُ مِنْ بُلُوغِ الوَطَرِ وَنَيْلِ الظَّفَرِ»[4]. انْتَهَىٰ.

---

(1) قال الشيخ زروق: من خواصِّ البدعة أنها لا توجدُ غالبًا إلا مقرونةً بمحرَّمٍ صريحٍ أو آيلةً [illegible] ومن تأمَّل ذلك وجده في كل أمر قيل إنه بدعةٌ، لا ينخرمُ بحالٍ. (عدة المريد الصادق، ص 40)

(2) في المطبوع: ولا يستهين بها. (الرسائل الصغرى، ص 11)

(3) ساقطة من النص المطبوع، وفيه تحريف شنيع وقلب للمعنى. (الرسائل الصغرى، نشرها الأب بولس ع. نويا اليسوعي، ضمن مجلة المشرق السنة الواحدة والخمسون، كانون الثاني - شباط 1957م)

(4) الرسائل الصغرى (ص 11)

عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا تَلَبَّسَ بِهِ، فَإِنْ حَمَلَهُ عَلَىٰ بِدْعَةٍ[1] امْتَنَعَ، أَوْ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ خَالَفَ، أَوْ رَآهُ مُكِبًّا عَلَىٰ أَمْرِهِ بِذَلِكَ وَمُعَامَلَتِهِ بِهِ تَرَكَ، كَمَا إِذَا كَانَ جَاهِلًا، وَيَنْتَقِلُ لِمَنْ تَحَقَّقَ أَمْرَهُ مِمَّنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنْ عَهْدِهِ إِلَّا فِي حِفْظِ حُرْمَتِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ قَالَ «سَهْلٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**احْذَرْ صُحْبَةَ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ: الجَبَابِرَةِ الغَافِلِينَ، وَالقُرَّاءِ المُدَاهِنِينَ، وَالمُتَصَوِّفَةِ الجَاهِلِينَ**».

وصية نافعة للشيخ ابن عباد الرندي رضي الله عنه

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «**أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ عَبَّادٍ**» رَحِمَهُ اللَّهُ: «أُوصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ عَقَلَ وَجَرَّبَ، وَلَا يَجْهَلُهَا[2] إِلَّا مَنْ غَفَلَ فَحُجِبَ، وَهِيَ أَنْ لَا[3] تَأْخُذُوا فِي هَذَا العِلْمِ مَعَ مُتَكَبِّرٍ وَلَا صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَلَا مُقَلِّدٍ؛ أَمَّا الكِبْرُ فَطَابَعٌ يَمْنَعُ مِنْ فَهْمِ الآيَاتِ وَالعِبَرِ، وَأَمَّا البِدْعَةُ فَتُوقِعُ فِي البَلَايَا الكُبَرِ، وَأَمَّا التَّقْلِيدُ فَعِقَالٌ يَمْنَعُ مِنْ بُلُوغِ الوَطَرِ وَنَيْلِ الظَّفَرِ»[4]. انْتَهَىٰ.

---

(1) قال الشيخ زروق: من خواصِّ البدعة أنها لا توجدُ غالبًا إلا مقرونةً بمحرَّمٍ صريحٍ أو آيلةً إليه أو يكون تابعًا لها، ومن تأمّل ذلك وجده في كل أمر قيل إنه بدعةٌ، لا ينخرمُ بحالٍ. (عدة المريد الصادق، ص 40)

(2) في النص المطبوع: ولا يستهين بها. (الرسائل الصغرىٰ، ص 11)

(3) «لا» ساقطة من النص المطبوع، وفيه تحريف شنيع وقلب للمعنىٰ. (الرسائل الصغرىٰ، ص 11 نشرها الأب بولس ع. نويا اليسوعي، ضمن مجلة المشرق السنة الواحدة والخمسون، كانون الثاني ـ شباط 1957م)

(4) الرسائل الصغرىٰ، (ص 11)

تعريف البدع وأنواعها عند زروق

قُلْتُ: البِدْعَةَ: اعْتِقَادُ مَا لَيْسَ بِقُرْبَةٍ قُرْبَةً[1]، كَالسَّمَاعِ وَالاجْتِمَاعِ.

وَالكِبْرُ: عَدَمُ الإِنْصَافِ عِنْدَ وُضُوحِ الحَقِّ وَظُهُورِهِ.

وَالتَّقْلِيدُ: الوُقُوفُ مَعَ ظَوَاهِرِ الأُمُورِ وَالجُمُودُ مَعَهَا مِنْ غَيْرِ الْتِفَاتٍ لِلْمَعَانِي وَالمَبَانِي. بَلْ كَمَا قِيلَ: «قِفْ حَيْثُ وَقَفُوا، ثُمَّ فَسِّرْ»[2].

وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَىٰ السَّمَاعِ وَمَنْ يَقُولُ بِهِ، وَبِاللهِ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

---

(1) قال الشيخ زرُّوق: البِدْعَةُ: اعْتِقَادُ مَا لَيْسَ بِقُرْبَةٍ قُرْبَةً، أَوِ اعْتِقَادُ نَفْيِ القُرْبَةِ عَمَّا هُوَ قُرْبَةٌ، أَوْ إِعْطَاءُ الحُكْمِ لِمَا لَيْسَ لَهُ شَرْعاً، وَهُوَ أَخصُّ. **وَأَقْسَامُهَا ثَلَاثَةٌ**:

- **أَوَّلُهَا: البِدْعَةُ الصَّرِيحَةُ**: وَهِيَ الَّتِي تُقَابِلُ سُنَّةً صَحِيحَةً، مِنْ غَيْرِ قِيَامِ شُبْهَةٍ مُقَابِلَةٍ وَلَا حُجَّةٍ نَاقِلَةٍ حَامِلَةٍ، كَالإِكْثَارِ مِنْ صَبِّ المَاءِ فِي الوُضُوءِ مَعَ اعْتِقَادِ نَدْبِهِ، أَوِ التَّعَمُّقِ فِي التَّدَلُّكِ وَنَحْوِهِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

- **الثَّانِي: البِدَعُ الإِضَافِيَّةُ**: وَهِيَ الَّتِي تُحَوِّلُهَا الأَحْوَالُ وَالنِّيَّاتُ، كَالتَّبَرُّكِ بِالآثَارِ وَالِاجْتِمَاعِ لِلدَّعَوَاتِ وَالأَذْكَارِ.

- **الثَّالِثُ: البِدَعُ الخِلَافِيَّةُ**: وَهِيَ بِاعْتِبَارِ المَلَاحَظَاتِ الأَصْلِيَّةِ، فَكُلُّ إِمَامٍ فَهِمَ مِنَ الشَّرِيعَةِ أَصْلًا بَنَىٰ عَلَيْهِ، وَنَسَبَ الحُكْمَ الَّذِي يَقْتَفِيهِ إِلَيْهِ، فَلِذَلِكَ تَجِدُ أَحَدَهُمْ رُبَّمَا قَالَ بِسُنِّيَّةِ مَا قَالَ صَاحِبُهُ بِابْتِدَاعِهِ، وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا بِمُبْتَدِعٍ لِتَمَسُّكِهِ بِالحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، وَلَوْ قِيلَ بِذَلِكَ لَلَزِمَ تَبْدِيعُ كَافَّةِ الأَئِمَّةِ، وَهُوَ ضَلَالٌ وَخَبَالٌ وَظُلْمَةٌ. (إعانة المتوجه المسكين علىٰ طريق الفتح والتمكين، ص55 - 56)

(2) هو كلام سيبويه، ذكره في الكتاب (ج1/ ص266) تحقيق عبد السلام هارون، ط3. مكتبة الخانجي. والمراد بالتفسير: التعليل.

❖ فَصْلٌ ❖

فِيمَا يَفْعَلُهُ المُرِيدُ حَتَّى يَجِدَ شَيْخًا، وَمَا يَكُونُ شَأْنُهُ إِذَا لَمْ يَجِدْهُ، وَمَا يُجْرِيهِ الشَّيْخُ عَلَيْهِ فِي أَيَّامِ صُحْبَتِهِ إِلَى مُنْتَهَى سُلُوكِهِ

وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِالعَمَلِ بِالتَّقْوَىٰ، وَالاسْتِقَامَةِ، وَمُقَدِّمَاتِ الفَنَاءِ فِي ذَلِكَ، وَبِهِ يَجْرِي فِي المُجَاهَدَةِ.

مطلب حقيقة مجاهدة التقوىٰ وشروطها

❖ **فَمُجَاهَدَةُ التَّقْوَى**: فِي تَرْكِ المُحَرَّمَاتِ، وَفِعْلِ الوَاجِبَاتِ، وَذَلِكَ مِمَّا تَكْفِي فِيهِ الكُتُبُ، وَيَكُونُ الشَّيْخُ مُعِينًا فِيهِ بِأَخْذِ العَهْدِ تَوَثُّقًا، وَتَفَقُّدِ الأَحْوَالِ إِعَانَةً، وَالتَّنْبِيهِ عَلَىٰ الخَفِيَّاتِ تَذْكِيرًا. وَهَذَا شَيْءٌ تَكْفِي فِيهِ الأُخُوَّةُ، يُؤْخَذُ عِلْمُهُ مِنَ الكُتُبِ، فَالشَّيْخُ[1] فِيهِ مُسْتَحَبٌّ فَقَطْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) وهو شيخ التعليم، قال الشيخ زروق: شيخُ التعليم يُحتاجُ فيه لثلاثة:

أولها: علمٌ صحيح بحيث يكون مبنيا علىٰ الكتاب والسُّنة، مؤيَّدًا بالقضايا العقلية والوجوه المفهمة المسلَّمة بالأدلة الصحيحة المقدَّمة.

الثاني: لسانٌ فصيحٌ بحيث يُبِينُ به عن المقاصد من غير احتمال ولا قصورٍ لأن العبارة هي التي تفيد المقاصد.

الثالث: عقلٌ رجيحٌ يميِّزُ بين مواضع العلم ويقي به نفسَه عن كل وصفٍ منقّص في دينه وعلمه فيكون تقيا نقيّا، وعلامته في ذلك وجود الإنصاف حيث يكون الحقُّ مع غيره، والوقوف مع الحقِّ بحيث لا أحد يقابله، وذلك بلزوم: «لا أدري» فيما لا يدري، والتبرّئ من مواضع التهم قولا وفعلا واعتقادًا. (راجع عدة المريد الصادق، ص151)

وأيضا: شيخ التعليم مُستنَدُه واضحٌ؛ لأنه لا علمَ إلا بتعلُّمٍ، ولا تعلُّمَ إلا من معلِّمٍ. وقد يكون دونه الكتبُ للحاذق الفَهِمِ، مع نقصٍ في إدراكِه وحظِّه. (عدة المريد الصادق، ص156)

❖ فَصْلٌ ❖

فِيمَا يَفْعَلُهُ المُرِيدُ حَتَّى يَجِدَ شَيْخًا، وَمَا يَكُونُ شَأْنُهُ إِذَا لَمْ يَجِدْهُ، وَمَا يُجْرِيهِ الشَّيْخُ عَلَيْهِ فِي أَيَّامِ صُحْبَتِهِ إِلَى مُنْتَهَى سُلُوكِهِ

وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِالعَمَلِ بِالتَّقْوَىٰ، وَالاسْتِقَامَةِ، وَمُقَدِّمَاتِ الفَنَاءِ فِي ذَلِكَ، وَبِهِ يَجْرِي فِي المُجَاهَدَةِ.

مطلب
حقيقة مجاهدة التقوىٰ وشروطها

❖ **فَمُجَاهَدَةُ التَّقْوَى**: فِي تَرْكِ المُحَرَّمَاتِ، وَفِعْلِ الوَاجِبَاتِ، وَذَلِكَ مِمَّا تَكْفِي فِيهِ الكُتُبُ، وَيَكُونُ الشَّيْخُ مُعِينًا فِيهِ بِأَخْذِ العَهْدِ تَوَثُّقًا، وَتَفَقُّدِ الأَحْوَالِ إِعَانَةً، وَالتَّنْبِيهِ عَلَىٰ الخَفِيَّاتِ تَذْكِيرًا. وَهَذَا شَيْءٌ تَكْفِي فِيهِ الأُخُوَّةُ، وَيُؤْخَذُ عِلْمُهُ مِنَ الكُتُبِ، فَالشَّيْخُ[1] فِيهِ مُسْتَحَبٌّ فَقَطْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) وهو شيخ التعليم، قال الشيخ زروق: شيخُ التعليم يُحتاجُ فيه لثلاثة:
أولها: علمٌ صحيح بحيث يكون مبنيا علىٰ الكتاب والسُّنة، مؤيَّدًا بالقضايا العقلية والوجوه المفهمة المسلَّمة بالأدلة الصحيحة المقدَّمة.
الثاني: لسانٌ فصيحٌ بحيث يُبِينُ به عن المقاصد من غير احتمال ولا قصورٍ لأن العبارة هي التي تفيد المقاصد.
الثالث: عقلٌ رجيحٌ يميِّزُ بين مواضع العلم ويقي به نفسَه عن كل وصفٍ منقِّص في دينه وقيامه فيكون تقيا نقيّا، وعلامته في ذلك وجود الإنصاف حيث يكون الحقُّ مع غيره، والوقوف مع الحقِّ بحيث لا أحد يقابله، وذلك بلزوم: «لا أدري» فيما لا يدري، والتبرّئ من مواضع التهم قولا وفعلا واعتقادًا. (راجع عدة المريد الصادق، ص151)
وقال أيضا: شيخ التعليم مُستندُه واضحٌ؛ لأنه لا علمَ إلا بتعلُّمٍ، ولا تعلُّمَ إلا من معلِّمٍ. وقد يكفي دونه الكتبُ للحاذق الفَهِمِ، مع نقصٍ في إدراكِه وحظِّه. (عدة المريد الصادق، ص156)

❖ **وَمُجَاهَدَةُ الاسْتِقَامَةِ**: بِحَمْلِ النَّفْسِ عَلَىٰ أَخْلَاقِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهِيَ أَقْوَالُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلُزُومُ الأَدَبِ وَمَكَارِمُ الأَخْلَاقِ.

وَهَذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ بَعْدَ التَّقْوَىٰ، وَنَدَبَتْ إِلَيْهِ عَوَامَّ الخَلْقِ، وَعَمَّ طَلَبُهُ مِنْ جَمِيعِ الخَلَائِقِ بِوَجْهِ النَّدْبِ وَالإِرْشَادِ، فَتَكْفِي فِيهِ الكُتُبُ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ الإِخْوَانُ، وَالشَّيْخُ أَوْلَىٰ لِعِلْمِهِ بِمَا يَلِيقُ بِالإِنْسَانِ؛ إِذْ هُوَ جَاهِلٌ بِنَفْسِهِ مُحِبٌّ لَهَا، وَحُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ، فَيَتَعَيَّنُ الرُّجُوعِ لِشَيْخٍ فِي تَعْيِينِ مَا يَلِيقُ بِهِ، وَيَكْفِي أَخٌ بَصِيرٌ حَاذِقٌ وَعَقْلٌ يَقِفُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ، وَهَذَا أَبْعَدُ وَأَقَلُّ.

فَالشَّيْخُ فِيهَا مُتَوَكِّدٌ أَكْثَرَ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا، بَلْ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا، لَكِنَّ شَيْخَ التَّعْلِيمِ البَصِيرِ فِيهَا كَشَيْخِ التَّرْبِيَةِ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) **قال الشيخ زروق: شيخ التربية يحتاجُ فيه إلىٰ ثلاثة أمور:**

ـ **أحدها**: معرفة النفوس وأحوالها الظاهرة والباطنة، وما يُكتسبُ به كمالُها ونقصُها، وأسباب دوام ذلك وزواله علىٰ وجه من العلم والتجربة لا ينقص ولا يختل في أصله وغالب فَرْعِه.

ـ **الثاني**: معرفة الواقع وتقلّباته، وحكم الشرع فيما يجريان فيه نصا وتجربةً ومشاهدةً وتحقيقًا وذوقًا للأجسام الكثيفة والأرواح اللطيفة، حتىٰ يعاملَ كُلًّا بما يليق به.

ـ **الثالث**: معرفة التصرّف في ذلك وتصريفه بأن يضع كل شيء في محلّه علىٰ قدره ووجهه، من غير هوًىٰ ولا ميل لحظٍّ، ولا يتمّ له ذلك إلا بورعٍ صادق في تصرّفه ينتجه عدمُ رضاه عن نفسه، وزهدٍ كامل نشأ عن حقيقة إيمانيةٍ تهديه لترك ما سوىٰ الحقِّ سبحانه، وتأدّب كامل بمن صحَّ أدبه. (عدة المريد الصادق، ص152)

مطلب
حقيقة مجاهدة الفناء وشروطها

❖ **وَمُجَاهَدَةُ الفَنَاءِ**: بِتَرْكِ الكُلِّ عَلَىٰ الكُلِّ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَىٰ اللهِ بِالكُلِّيَّةِ، فَمَبَادِئُهُ تُؤْخَذُ مِنَ الكُتُبِ، وَنِهَايَتُهُ لَابُدَّ فِيهَا مِنْ شَيْخٍ[1] وَهُوَ وَاجِبٌ؛ لِعَدَمِ العِلْمِ.

ثُمَّ الحَاصِلُ أَنَّ مَا تَكْفِي فِيهِ الكُتُبُ وَالإِخْوَانُ هُوَ شُغْلُ المُرِيدِ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ الشَّيْخَ، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَإِنْ تَعَدَّاهُ رُبَّمَا ضَلَّ وَأَضَلَّ.

وَلَا يُهْمِلُ الاسْتِعَانَةَ بِأَخٍ صَالِحٍ أَلْبَتَّةَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِأَمْثَلِ مَنْ يَجِدُهُ، وَحَيْثُمَا وَجَدَ مَنْ يَجْرِي مَعَ الحَقِّ طَلَبًا أَوْ تَعْلِيمًا أَوْ إِشَارَةً فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ فِي مَحَلٍّ لَا شَيْخَ لَهُ بِهِ وَإِنْ لَازَمَهُ.

حقيقة الأحداث الذين يجب على المريد الحذر منهم

وَلْيَحْذَرِ الأَحْدَاثَ[2] جُهْدَهُ؛ فَإِنَّهُمْ يَنْقُضُونَ عَلَيْهِ طَرِيقَهُ.

---

(1) **وهو شيخ الترقية، قال الشيخ زروق: شيخ الترقية علامته ثلاث:**
أولها: أنَّ رؤيته زيادةٌ في العمل. ومنه قولهم: كنا إذا فترنا نظرنا إلىٰ محمد بن واسع فعَمِلْنَا عليه أسبوعًا.
الثاني: أن خطابه تنميةٌ للحال، وإليه إشارة الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث يقول: «لا تصحب من يؤثر نَفْسَه عليك فإنه لئيمٌ، ولا من يؤثرك علىٰ نفسه فإنه قلَّ ما يدوم، واصحبْ من إذا ذُكِرَ ذُكِرَ الله، فاللهُ يغني به إذا شُهِدَ، وينوب عنه إذا فُقِدَ، ذِكْرُه نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب». انتهىٰ وهو عجيب.
الثالث: أن مخالطته مثيرةٌ للأنوار في بساط الكمال. (عدة المريد الصادق، ص154)
(2) **قال الشيخ زروق: الأَحْداثُ** جمع حَدَثٍ، وهو مَن لا ثبات له. وهم ثلاثة: الحدَثُ سِنًّا: هو الصغير الذي لم يميِّز حقائق الأمور، وله ولوع بكل ما يراه أو يسمعه من مستحسن، فلا يُؤمَنُ غائِلَتُه في الانقلاب. الحدَثُ عقْلًا: وهو الذي لا يثبت علىٰ حقيقةٍ، ولا ينتهج طريقةً.

ـ **فَالحَدَثُ سِنًّا** يُشَوِّشُ القَلْبَ بِتَقَلُّبِهِ.

ـ **وَالحَدَثُ عَقْلًا** كَذَلِكَ، وَهُوَ الَّذِي يَنْقَادُ لِلأَوْهَامِ، وَيَقْبَلُ كُلَّ مَا يُلْقَىٰ إِلَيْهِ، فَلَا يَثْبُتُ عَلَىٰ حَالٍ فِيمَا هُوَ بِهِ.

ـ **وَالحَدَثُ دِيَانَةً** كَذَلِكَ، وَهُوَ الَّذِي يَتَّبِعُ كُلَّ نَاعِقٍ وَيَتَلَوَّنُ فِي مُعَامَلَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ.

ـ **وَالحَدَثُ تَوَجُّهًا** هُوَ الَّذِي يَسْلُكُ طَرِيقًا خِلَافَ الطَّرِيقِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ وَإِنِ اتَّفَقْتُمَا فِي طَلَبِ الحَقِّ، إِلَّا أَنْ يَجْرِيَ مَعَكَ بِمَا أَنْتَ بِهِ، وَإِنِ انْفَرَدَ بِهِ المُنْتَظِمُ.

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «أَبُو مَدْيَنَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كُلُّ مَنْ لَمْ يُوَافِقْكَ عَلَىٰ طَرِيقِكَ فَهُوَ حَدَثٌ، وَإِنْ كَانَ ابْنَ سَبْعِينَ سَنَةً**».

فَاعْرَفْ ذَلِكَ وَاعْمَلْ بِهِ تَرْشُدْ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

الحدَثُ دِينًا: وهو الذي يكون مع كل قوم بما هم فيه. (راجع شرح المباحث الأصلية ص 184)

❖ فَصْلٌ ❖

قَدْ تَكَفَّلَ العُلَمَاءِ بِبَيَانِ طُرُقِ الحَقِّ الثَّلَاثَةِ، وَجَمَعَ ذَلِكَ الشَّيْخُ «**أَبُو طَالِبٍ المَكِّيُّ**»، وَ«**الغَزَّالِيُّ**»، وَ«**السُّهْرَوَرْدِيُّ**»[1] وَغَيْرُهُمْ، لَكِنَّهُمْ وَسَّعُوا وَجَرَوْا مَجْرًىٰ يَتَشَوَّشُ بِهِ السَّالِكُ؛ لِاتِّسَاعِهِ وَكَثْرَةِ مَسَائِلِهِ.

الكتب الدالة علىٰ مجاهدة التقوىٰ

وَقَدِ اعْتَنَىٰ «**المُحَاسِبِيُّ**» بِمَا يَجْرِي فِي التَّقْوَىٰ وَيَدِقُّ وَيَخْفَىٰ، وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ، وَأَحْسَنُ كُتُبِهِ «**القَصْدُ**»[2] ثُمَّ «**الرِّعَايَةُ**»[3] ثُمَّ «**النَّصَائِحُ**»[4]، وَقَدْ قَالَ فِيهَا الشَّيْخُ «**أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عاَشِرٍ**» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ إِلَّا وَلِيٌّ»، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

---

(1) الأقرب أنه يقصد أبا النجيب السهروردي صاحب كتاب آداب المريدين.

(2) كتاب القصد والرجوع إلىٰ الله، وهو مطبوع ضمن مجموع الوصايا للمحاسبي، من الصفحة 217 إلىٰ 328. تحقيق عبد القادر أحمد عطا، نشر دار الكتب العلمية، ط1. 1406هـ/ 1986م

(3) كتاب الرعاية للمحاسبي قال عنه الشيخ أبو العباس المرسي بعد أن درّسه لابن عطاءالله السكندري: كل ما في هذا الكتاب يغني عنه كلمتان: **اعْبُدِ اللهَ بشرط العِلْمِ، ولا تَرْضَ عَنْ نفسِكَ بِشَيْءٍ**. (لطائف المنن، ص174)

(4) النصائح مطبوع ضمن مجموع الوصايا للمحاسبي، من الصفحة 57 إلىٰ 215. الطبعة السابقة.

وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ «ابْنُ عَبَّادٍ»[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي «شَرْحِ الحِكَمِ» عِنْدَ قَوْلِهِ: «تَشَوُّفُكَ إِلَىٰ مَا بَطَنَ فِيكَ مِنَ العُيُوبِ خَيْرٌ مِنْ تَشَوُّفِكَ إِلَىٰ مَا حُجِبَ عَنْكَ مِنَ الغُيُوبِ»[2].

وَأَثْنَىٰ مَعَ ذَلِكَ عَلَىٰ فُصُولِ «السُّلَمِيِّ» فِي «عُيُوبِ النَّفْسِ» كَثِيرًا حَتَّىٰ قَالَ: «إِنَّهُ كِتَابٌ صَغِيرُ الجِرْمِ عَظِيمُ النَّفْعِ»[3]، وَيَجْرِي ذَلِكَ فِيمَا كَانَ مِثْلَهُ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ قَرِيبًا مِنْهُ.

وَاعْتَنَىٰ «ابْنُ عَطَاءِ اللهِ» وَمَنْ جَرَىٰ مَجْرَاهُ بِالنَّوْعِ الثَّالِثِ، وَحَرَّرَهُ بِـ«التَّنْوِيرِ» بِأَتَمِّ وَجْهٍ وَأَحْسَنِ تَقْرِيرٍ، حَتَّىٰ قَالَ «ابْنُ عَبَّادٍ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ مَا

---

(1) نص كلام ابن عباد: وقد كان أوحد زمانه علما وعبادةً، ونخبةُ أوانه ورعًا وزهادةً سيدي الحاجُّ أبو العباس ابن عاشر رحمة الله عليه ورضوانه يكثر من التحريض علىٰ مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حقٍّ وصوابٍ، وأظنني سمعته ذات يومٍ يقول: «لا يعمل بما فيه إلا وليٌّ» أو كلاما هذا معناه. (شرح الحكم العطائية، ص 47)

(2) كلام الشيخ ابن عباد ورد عند شرح قول صاحب الحكم: «أصل كلِّ معصيةٍ وغفلة وشهوة الرضا عن النفس». أي: بعد الحكمة التي أشار إليها الشيخ زروقح لأنه ينقل من حفظه علىٰ ما يبدو.

(3) نص كلام ابن عباد: «وقد ألّف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جزءًا صغير الجرم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها، فلينظر فيه المريد. وكذلك ألّف قبله الإمام أبو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه «النصائح» جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافيةً، ونبَّه فيه علىٰ سُنَنٍ دارسةٍ عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالىٰ عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وأنفسهم والمحافظة علىٰ تطهير الأسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقّرات الذنوب. (شرح الحكم العطائية، ص 46 ـ 47)

فِي كُتُبِ الصُّوفِيَّةِ الـمُطَوَّلَةِ وَالـمُخْتَصَرَةِ، مَعَ زِيَادَةِ البَيَانِ وَاخْتِصَارِ الأَلْفَاظِ، وَالـمَسْلَكُ الَّذِي سَلَكَ فِيهِ مَسْلَكٌ تَوْحِيدِيٌّ لَا يَسَعُ أَحَدًا إِنْكَارُهُ وَلَا الطَّعْنُ فِيهِ، وَلَا يَدَعُ لِلْمُتَّصِفِ بِهِ صِفَةً حَمِيدَةً إِلَّا أَكْسَبَهُ إِيَّاهَا، وَلَا صِفَةً خَسِيسَةً إِلَّا أَزَالَـهَا عَنْهُ وَطَهَّرَهُ مِنْهَا، لَا سِيَّمَا مَنْ أَضَافَ إِلَىٰ ذَلِكَ الكَلِمَاتِ الحِكْمِيَّةَ الَّتِي وَضَعَهَا»[1]. انْتَهَىٰ بِمَعْنَىٰ كَلَامِهِ وَنَصِّ أَكْثَرِهِ.

الكتب الدالة على مجاهدة الاستقامة

فَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ تَفْصِيلُ الاسْتِقَامَةِ، فَلِلنَّاسِ فِيهِ كُتُبٌ مُفْرَدَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ، وَغَايَتُهُمْ فِي ذَلِكَ المُجَاهَدَةُ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَتَحْقِيقِ الأَدَبِ وَتَعْمِيرِ الأَوْقَاتِ.

وَأَحْسَنُ مَا فِي ذَلِكَ كُتُبُ «**النَّوَاوِيِّ**» الَّتِي فِي عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَخُصُوصًا «**حِلْيَةُ الأَبْرَارِ**» وَمَا فِي «**الرِّيَاضِ**» وَ«**الأَذْكَارِ**»، وَمَا أُلِّفَ فِي البِدَعِ كَكِتَابِ «**المَدْخَلِ**» لِـ«**ابْنِ الحَاجِّ**»، وَ«**الحَوَادِثِ**» لِـ«**أَبِي إِسْحَاقَ الشَّاطِبِيِّ**»، وَمَا أَتَىٰ بِهِ «**الطُّرْطُوشِيُّ**»، وَفِيها بَعْضُ تَحَامُلٍ، فَيُحَقَّقُ بِالعِلْمِ وَالبَصِيرَةِ، وَأَحْسَنُ ذَلِكَ أَخْذُهُ مِنْ عَالِمٍ مُحَقِّقٍ أَوْ أَخٍ صَادِقٍ عَاقِلٍ بِحُكْمِ تَنْزِيلِ العِلْمِ عَلَىٰ مَحَلِّهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(1) الرسائل الصغرىٰ للإمام ابن عباد (ص85)

❖ فَصْلٌ ❖

فِي أُصُولِ مُحَقِّقِي الصُّوفِيَّةِ فِي المُعَامَلَاتِ وَنَحْوِهَا

وَمَدَارُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ أُصُولٍ أَرْبَعَةٍ:

ـ **الأَوَّلُ**: تَحْقِيقُ الاعْتِقَادِ، وَحِفْظُهُ بِالاحْتِيَاطِ. وَأَصْلُهُمْ فِي ذَلِكَ اتِّبَاعُ طَرِيقَةِ السَّلَفِ مِنِ اعْتِقَادِ التَّنْزِيهِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلشُّبَهِ قَبْلَ عُرُوضِهَا، وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ مَا اسْتَتَبَّ مِنْ أُصُولِهِ الثَّابِتَةِ بَعْدَ التَّنْزِيهِ، ثُمَّ إِنْ تَكَلَّمُوا فِي وُجُوهِ التَّأْوِيلِ فَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عِلْمٌ فَقَطْ[1].

وَقَدْ ذَكَرَ «**السُّهْرَوَرْدِيُّ**» إِجْمَاعَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، قَالَ: وَيَقُولُونَ فِي كُلِّ مُشْكِلٍ مِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ «**مَالِكٌ**» لَمَّا سُئِلَ عَنِ الاسْتِوَاءِ: **الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ**[2]**، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ**»[1]. فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ.

---

(1) قال الشيخ زروق: مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ فِي الاعْتِقَادَاتِ تَابِعٌ لِمَذْهَبِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ التَّنْزِيهِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلتَّأْوِيلِ، وَلَا مَيْلٍ إِلَىٰ الأَبَاطِيلِ. وَإِنْ تَكَلَّمُوا فِي شَيْءٍ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي نَفْيِ الـمُحَالِ، فَعَلَىٰ سَبِيلِ العِلْمِ، وَإِبْدَاءِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الفَهْمِ، لَا عَلَىٰ وَجْهِ القَطْعِ وَالجَزْمِ، فَهُمْ يَقُولُونَ فِي كُلِّ صِفَةٍ سَمْعِيَّةٍ مَا قَالَهُ «**مَالِكٌ**» رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ فِي الِاسْتِوَاءِ إِذْ قَالَ: «**الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ**»، يَعْنِي مِنَ البِدَعِ الإِضَافِيَّةِ وَالخِلَافِيَّةِ. (إعانة المتوجه المسكين علىٰ طريق الفتح والتمكين، ص58)

(2) قال الشيخ زروق أيضًا: قوله: «**وَالكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ**» نَفْيٌ لما يتوهَّمُ فيه من محتملاته الحِسِّية؛ إذ لا تُعقَل في حقّه. وفي بعض رواياته: «والكيفية مجهولة»، وقد عدلنا عنها للرواية التي ذكرنا لأن غير المعقول لا يمكن العلمُ به، والمجهول يمكن علمُه، والمقصود نفيُ

الأصول الفقهية لأئمة أهل التصوف

- **الثَّانِي:** تَصْحِيحُ العَمَلِ بِالأَحْكَامِ، وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ الفُقَهَاءِ[2]، مَعَ التَّبَصُّرِ[3] فِي أُصُولِهَا لِيَحْصُلَ نُورُ الاقْتِدَاءِ[4] بِالعُلَمَاءِ مَعَ الاهْتِدَاءِ بِالاطِّلَاعِ عَلَىٰ دَلَائِلِ الشَّرِيعَةِ.

قف علىٰ معنىٰ قولهم: الصوفي لا مذهب له

وَيَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ أَرْبَابَ المَذَاهِبِ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِالسُّنَّةِ، وَقَدْ سَلِمُوا مِنْ تَوَغُّلِ البَاطِنِيَّةِ وَجُمُودِ الظَّاهِرِيَّةِ، فَقَوْلُ قَائِلِهِمْ: «الصُّوفِيُّ لَا مَذْهَبَ لَهُ»[5]

التعقُّلِ في ذلك، فرواية نَفْيِه أولىٰ، وإن كان غيرها أكثر روايةً. (شرح الرسالة، ج1/ ص31 ـ 32)

وقال الشيخ زروق نقلا عن الشهاب السهروردي صاحب العوارف تعليقا علىٰ قول الإمام مالك: «والكيف غير معقول»: فانتفىٰ المحال؛ لأن ما لا يعقل لا يصحُّ. (شرح عقيدة الإمام الغزالي، ص 61، تحقيق د. محمد عبد القادر نصار، ط1، دارة ا لكرز، 2007م)

(1) راجع آداب المريدين للسهروردي (ص4)

(2) **قال الشيخ زروق:** أحسن المذاهب في الأحكام مذاهب الفقهاء لرجوعهم للقواعد، وعمَلِهم علىٰ الأصول، وجَمْعِهم بين الأدلة، ولأنا تُعُبِّدْنا بالمعاني لا بالألفاظ، والشريعة منقولة، والنقول مختلفة، فلابدّ من اعتبار المقاصد، وهذا شأن الفقهاء، فهم يتبعون مذاهبهم مع التقيُّد بمذهب واحد لأنه أجمع للحقيقة وأقرب للتبصُّر وداع للتحقيق وأتمّ في الاعتبار وأسهل للتناول. (شرح المباحث الأصلية، ص 124)

(3) **قال الشيخ زروق: التَّبَصُّرُ:** أَخْذُ القَوْلِ بِدَلِيلِهِ الخَاصِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِبْدَادٍ بِالنَّظَرِ وَلَا إِهْمَالٍ لِلْقَائِلِ، وَهِيَ رُتْبَةُ مَشَايِخِ المَذَاهِبِ وَأَجَاوِيدِ طَلَبَةِ العِلْمِ. (تأسيس القواعد والأصول، ص 76)

(4) **قال الشيخ زروق: الاقْتِدَاءُ:** الاسْتِنَادُ فِي أَخْذِ القَوْلِ لِدِيَانَةِ صَاحِبِهِ وَعِلْمِهِ، وَهَذِهِ رُتْبَةُ أَصْحَابِ المَذَاهِبِ مَعَ أَئِمَّتِهَا، فَإِطْلَاقُ التَّقْلِيدِ عَلَيْهَا مَجَازٌ. (تأسيس القواعد، ص 76)

(5) قال الشيخ زروق: (**لَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: «الصُّوفِيُّ لَا مَذْهَبَ لَهُ»**) لأنه يستلزم بقاء أحكام **الفروع** متشعبة عليه لا يدري وجه العمل فيها، (**إِلَّا مِنْ جِهَةِ اخْتِيَارِهِ فِي المَذْهَبِ الوَاحِدِ**

أَيْ: فِي الفَضَائِلِ، أَوْ فِي نَفْسِهِ مِمَّا لَهُ فِيهِ اخْتِيَارٌ، إِذْ يَدُورُ مَعَ القَدَرِ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ **«الجُنَيْدُ»** ثَوْرِيًّا، وَ**«المُحَاسِبِيُّ»** شَافِعِيًّا، وَ**«الشِّبْلِيُّ»** مَالِكِيًّا، وَ**«الجَرِيرِيُّ»** حَنَفِيًّا، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ[1].

ـ **الثالث:** تَأْيِيدُ الفَضَائِلِ بِالسُّنَّةِ[2]، فَلَا يَأْخُذُ مِنْهَا بِمَوْضُوعٍ، وَلَا مُبْتَدَعٍ لَا أَصْلَ لَهُ، بَلْ بِالصَّحِيحِ وَمَا قَارَبَهُ وَمَا يَحْكِيهِ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ وَصَّىٰ

أَحْسَنَهُ دَلِيلًا) وهو المشهور؛ إذ هو عندهم: ما قَوِيَ دليلُهُ، **(أَوْ قَصْدًا)** كقولهم: ينوي المتطهِّرُ رفعَ الحدث، أو استباحة الممنوع، أو أداء ما افترضه الله عليه، فيختارُ الصوفيُّ هذا الأخير لما فيه من استحضار الامتثال مطابقةً، وتذكُّرِ امتثالِ أمر الله تعالىٰ **(أَوِ احْتِيَاطًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ)** كإعانة علىٰ خشوع وحضور قلبٍ، كاختيار القول بأنَّ الأفضل في النفل كثرةُ السجود لأن الشيطان لا يوسوسُ إذ ذاك، بل ينعزل ناحية فيبكي، فلا تبقىٰ إلا وسوسة النفس فيخفُّ الأمر **(مِمَّا يُوصِلُهُ لِحَالِهِ)** وهو اجتهادُه في جَمْعِ القَلْبِ علىٰ الله. (تأسيس القواعد والأصول، ص 84 ـ 85 ممزوجا ببعض التعليقات من شرح قواعد التصوف للشيخ ابن زكري، ص320)

(1) **قال الشيخ زروق:** وَمَذْهَبُ الصُّوفِيِّ فِي الأَحْكَامِ تَابِعٌ لِعُلَمَائِهَا، وَهُمُ الْفُقَهَاءُ القَائِمُونَ بِعِلْمِهَا وَإِبْدَائِهَا، وَيَخْتَارُونَ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ أَمَسَّ بِالحَدِيثِ، وَأَقْرَبَ لِلاحْتِيَاطِ، وَأَدْعَىٰ لِلتَّثَبُّتِ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِنْكَارٌ لِإِمَامِهِمْ، فَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ؛ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الأَحْكَامِ قَدْ هَذَّبُوا وَنَقَّحُوا، وَأَبْطَلُوا فِي الأَدِلَّةِ وَصَحَّحُوا وَنَصَحُوا، فَلَزِمَ اتِّبَاعُهُمْ فِيمَا أَوْضَحُوا، وَاعْتِمَادُهُمْ فِيمَا صَحَّحُوا. **فَالصُّوفِيُّ** لَا يُفَارِقُ السَّلَفَ فِي مُعْتَقَدِهِ، وَلَا يُفَارِقُ الفُقَهَاءَ فِي مُعْتَمَدِهِ؛ لِأَنَّ العَقَائِدَ رَأْسُ مَالِهِ، وَالأَحْكَامَ أَسَاسُ أَعْمَالِهِ، فَالـمُخَاطَرَةُ بِهِمَا ضَرَرٌ، وَالعَمَلُ بِغَيْرِ الـمَذْهَبَيْنِ الـمَذْكُورَيْنِ فِيهِمَا غَرَرٌ. (إعانة المتوجه المسكين علىٰ طريق الفتح والتمكين، ص 60)

(2) **قال الشيخ زروق:** الصُّوفِيَّةُ فِي الفَضَائِلِ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَصْحَابِ الـحَدِيثِ؛ لِـمَا هُمْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّثَبُّتِ، وَبِهَذَا الوَجْهِ يُفْهَمُ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنِ الْتِزَامِ مَذْهَبِ الـمُحَدِّثِينَ،

شُيُوخُهُمْ، وَذَكَرَهُ «القُشَيْرِيُّ» فِي بَابِ الوَصِيَّةِ مِنَ الرِّسَالَةِ قَائِلًا: «وَفِي الثَّابِتِ الصَّحِيحِ وَفِي مَعْنَاهُ كِفَايَةٌ لِمُرِيدِ العِبَادَةِ»، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

- **الرَّابِعُ**: تَقْيِيدُ الأَدَبِ بِالجَمْعِ عَلَىٰ مَوْلَاهُمْ، فَكُلُّ أَدَبٍ جَمَعَهُمْ عَلَىٰ مَوْلَاهُمْ قَالُوا بِهِ وَعَمِلُوا بِهِ.

وَفِي هَذَا الفَصْلِ اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ، وَاخْتُلِفَ فِيهِمْ وَعَنْهُمْ، فَمِنْ مُنْكِرٍ بِمُجَرَّدِ الصُّورَةِ، وَمِنْ مُتَّبِعٍ كَذَلِكَ، وَمِنْ مُحَقِّقٍ يَنْظُرُ بِعَيْنِ الحَقِيقَةِ فَيُسَلِّمُ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ، وَيَعْمَلُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، كَالسَّمَاعِ وَنَحْوِهِ، وَإِيثَارِ الخُمُولِ وَغَيْرِهِ[1].

فَاعْرَفْ ذَلِكَ، وَلَا تُقْدِمْ عَلَىٰ مَا تَشُكُّ فِيهِ، إِلَّا بِمُوجِبٍ يَقْتَضِيهِ، بَلْ كَمَا قَالَ «مَالِكٌ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**عَلَيْكَ بِالَّذِي لا تَشُكُّ فِيهِ، وَدَعِ النَّاسَ وَلَعَلَّهُمْ فِي سَعَةٍ**»، وَاللهُ وَلِيُّ الهِدَايَةِ بِفَضْلِهِ.

وَمَا يُذْكَرُ عَنْهُمْ مِنْ أَعْمَالِ التَّابِعِينَ. (إعانة المتوجه المسكين علىٰ طريق الفتح والتمكين، ص 60)

(1) **قال الشيخ زروق عن الصوفية**: اخْتُصَّ مَذْهَبُهُمْ فِي الآدَابِ بِأَصْلٍ تَرْجِعُ إِلَيْهِ مُفْتَرِقَاتُ أَحْوَالِهِمْ، وَهُوَ اعْتِنَاؤُهُمْ بِإِفْرَادِ القَلْبِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَكُلُّ مَا يُحَقِّقُ لَهُمْ ذَلِكَ يَنْتَهِجُونَهُ، رُخْصَةً كَانَ أَوْ عَزِيمَةً، وَإِنْ دَخَلَهُ خِلَافُ عَالِمٍ أَوِ اشْتِبَاهٌ لَا يَقْضِي بِوُجُودِ النَّكِيرِ المُطْلَقِ. وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا بِأُمُورٍ لَمْ يَقْبَلْهَا مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ أُصُولَهُمْ، وَهُوَ عَلَىٰ حَقٍّ فِي إِنْكَارِهِ، وَاقْتَفَاهَا قَوْمٌ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا الأَصْلِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، كَالسَّمَاعِ وَالخُمُولِ وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ، وَالكَلَامِ فِي الخَوَاطِرِ، وَالوَحْدَةِ فِي الأَسْفَارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَافْهَمْ. (إعانة المتوجه المسكين علىٰ طريق الفتح والتمكين، ص 61)

❖ فَصْلٌ ❖

فِي عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ بِوَجْهٍ مُتَوَسِّطٍ

إِذَا اسْتَيْقَظْتَ مِنْ مَنَامِكَ عِنْدَ الفَجْرِ فَقُلْ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[1]، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا اليَوْمِ، فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ**»[2] كَمَا تَيَسَّرَ لَكَ مِنْ إِفْرَادٍ وَتَكْرِيرٍ ثَلَاثًا.

ثُمَّ اقْصِدْ بِلِبَاسِ ثِيَابِكَ التَّسَتُّرَ، وَبِجَمِيلِهَا التَّجَمُّلَ، مَعَ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ أَخْذِهَا، وَاسْتِقَامَتِهَا دُونَ قَلْبِهَا أَوْ تَحْوِيلِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ نُهِيَ عَنْهُ.

ثُمَّ ادْخُلِ الخَلَاءَ مُقَدِّمًا رِجْلَكَ اليُسْرَىٰ وَقَائِلًا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ**»[3]، «وَمِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

ثُمَّ اجْلِسْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلٍ وَلَا مُسْتَدْبِرٍ وَلَوْ بَيْنَ البُنْيَانِ احْتِيَاطًا، وَإِنْ جَعَلْتَ القِبْلَةَ عَنْ يَمِينِكَ إِكْرَامًا لَهَا فَهُوَ أَحْسَنُ.

---

(1) أخرجه البخاري في الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح.

(2) أخرجه أبو داوود.

(3) البخاري في الوضوء، ما يقول عند الخلاء؛ ومسلم في الحيض، ما يقول إذا أراد دخول الخلاء.

وَكَذَا خُرُوجُكَ عَنِ اسْتِقْبَالِ القَمَرَيْنِ وَبَيْتِ المَقْدِسِ، وَاسْتَعْمِلْ مَا تَعْرِفُهُ مِنْ آدَابِ التَّخَلِّي كُلِّهَا، وَأَوْجَبُهَا الاسْتِبْرَاءُ وَهُوَ سَلْتُ الذَّكَرِ وَنَفْضُهُ بِرِفْقٍ لَا بِقُوَّةٍ؛ فَإِنَّهُ يُثِيرُ الاسْتِرْخَاءَ فَلَا تَنْقَطِعُ المَادَّةُ، وَيُؤْذِي المَحَلَّ، وَيَضُرُّ بِالزَّوْجَةِ.

وَيَفْعَلُ فِي ذَلِكَ عَادَتَهُ مِنْ قِيَامٍ وَتَنَحْنُحٍ وَغَيْرِهِ، وَمِنْ أَحْسَنِهِ أَنْ يَهْمِزَ بَيْنَ السَّبِيلَيْنِ بِأُصْبُعِهِ فَإِنَّهُ يُوقِفُ الوَاصِلَ وَيَدْفَعُ الحَاصِلَ، لَا سِيَّمَا مَعَ التَّنَشُّفِ بِالمَدَرِ وَالتُّرَابِ وَنَحْوِهِ، ثُمَّ يَسْتَجْمِرُ إِنْ أَمْكَنَهُ بِالحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا فَيَأْخُذُ مِنْ نَاحِيَةٍ ثُمَّ مِنْ أُخْرَىٰ، ثُمَّ يُمِرُّ بِالثَّالِثِ مِنَ اليَمِينِ إِلَىٰ الشِّمَالِ وَبِالعَكْسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْوَنُ لَهُ، ثُمَّ يَتَنَحَّىٰ إِنْ خَشِيَ رَشَاشًا، وَيَسْتَنْجِي بِالمَاءِ إِنْ وَجَدَهُ، وَإِلَّا فَلْيُبَالِغْ فِي الإِنْقَاءِ مَعَ الإِيتَارِ[1]، لَكِنَّ الإِنْقَاءَ وَاجِبٌ وَالإِيتَارَ مُسْتَحَبٌّ، وَيُبَالِغُ فِي إِزَالَةِ مَا هُنَالِكَ بِالمَاءِ وَالاسْتِرْخَاءِ قَلِيلًا حَتَّىٰ يَغْلِبَ عَلَىٰ ظَنِّهِ زَوَالُ مَا هُنَالِكَ، بِلَا تَقْصِيرٍ وَلَا وَسْوَسَةٍ.

وَيَقُولُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الخَلَاءِ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَىٰ وَعَافَانِي»[2]، وَيَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي لَذَّتَهُ، وَأَذْهَبَ عَنِّي مَشَقَّتَهُ، وَأَبْقَىٰ فِيَّ مَنْفَعَتَهُ»[3].

---

(1) لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ، وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ». متفق عليه.

(2) هو من كلام الصحابة كما ورد في مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الطهارات، ما يقول إذا خرج من المخرج.

(3) ورد في رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

وَعِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الاسْتِنْجَاءِ: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ فَرْجِي مِنَ الفَوَاحِشِ، وَطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ». كَذَلِكَ ذَكَرَهُ «**الغَزَّالِيُّ**» وَغَيْرُهُ وَهُوَ حَسَنٌ.

ثُمَّ يَتَوَجَّهُ لِلْوُضُوءِ، فَيَسْتَاكُ أَوَّلًا عَرْضًا بِعُودٍ غَيْرِ مُؤْذٍ وَلَا مُصْبِغٍ لِخِلَافٍ فِي كَرَاهَتِهِ، وَيُتَابِعُ مَا فِي فِيهِ مِنَ القَلَحِ[1] وَالبَلْغَمِ، قَالَ «**النَّوَاوِيُّ**»: وَرُؤُوسَ أَسْنَانِهِ وَتَحْتَ لِسَانِهِ وَسَقْفَهُ.

قُلْتُ: وَلَا يَشُدُّ أُصْبُعَهُ عَلَىٰ أَسْنَانِهِ عِنْدَ اسْتِيَاكِهِ لِأَنَّهُ يُثِيرُ البَلْغَمَ، وَرُبَّمَا أَخْرَجَ الدَّمَ، لَا سِيَّمَا مَنِ اسْتَاكَ بِأُصْبُعِهِ.

ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ يُفْرِغُ عَلَيْهِمَا المَاءَ وَيَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَىٰ مُفْتَرِقَتَيْنِ عَلَىٰ المَشْهُورِ، وَقَالَ «**ابْنُ رُشْدٍ**»: الأَشْبَهُ بِالاتِّبَاعِ: مُجْتَمِعَتَيْنِ.

ثُمَّ يَشْرَعُ فِي المَضْمَمَةِ، وَيُدِيرُ المَاءَ فِي فِيهِ، ثُمَّ يُخَضْخِضُهُ وَيَمُجُّهُ وَلَوْ لَمْ يُدِرْهُ، قَالَ «**النَّوَاوِيُّ**»: الجُمْهُورُ عَلَىٰ عَدَمِ لُزُومِهِ.

وَيَجْمَعُ بَيْنَ المَضْمَضَةِ وَالاسْتِنْشَاقِ، قَالَ «**ابْنُ رُشْدٍ**»: هُوَ الأَشْبَهُ بِالاتِّبَاعِ، وَالمَشْهُورُ التَّفْكِيكُ، وَهُوَ الكَمَالُ وَأَفْضَلُ عَلَىٰ المَشْهُورِ.

---

(1) قَلَحُ الأسنان: كتلة من أملاح الكالسيوم والمغنيسيوم، تترسب حول الأسنان وتشكل البلاك، وعندما يتصلب البلاك يشكل ما يعرف بـ قلح الأسنان «الجير».

ثُمَّ يَغْسِلُ وَجْهَهُ وَيَتَحَفَّظُ فِيهِ مِنْ أُمُورٍ يَفْعَلُهَا الجُهَّالُ كَلَطْمِهِ بِالمَاءِ كَمَا يَفْعَلُهُ الجُهَّالُ وَضَعَفَةُ النِّسَاءِ. وَلَا يُكَبِّرُ عِنْدَهُ، قَالَهُ فِي «**مَرَاقِي الزُّلْفَىٰ**»[1]، وَلَا يَتَشَهَّدُ؛ إِذْ لَيْسَ مَحَلَّ التَّشَهُّدِ، وَخَطَّأَ «**النَّوَاوِيُّ**» مَنْ قَالَ بِهِ.

وَلَا يَنْفُضُ يَدَيْهِ قَبْلَ وُصُولِ المَاءِ إِلَىٰ مَحَلِّهِ فَإِنَّهُ يُبْرِقُ وَجْهَهُ. وَيَتَحَفَّظُ عَلَىٰ مَغَابِنِهِ بِإِيصَالِ المَاءِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ غَائِبَةً عَنِ المُوَاجَهَةِ فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ إِيصَالُ المَاءِ.

وَيُخَلِّلُ مَا عَلَا مِنْ شَعَرٍ وَإِنْ كَانَ كَثِيفًا احْتِيَاطًا، وَيَذْكُرُ اللهَ فِي أَوَّلِهِ بِالبَسْمَلَةِ، وَفِي آخِرِهِ بِقَوْلِهِ: «**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[2] اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وَيَقُولُ فِي أَثْنَائِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي» يُكَرِّرُهَا إِلَىٰ آخِرِهِ، وَإِنْ تَشَهَّدَ بِذَلِكَ بَعْدَهُ فَهُوَ أَحْسَنُ.

---

(1) هو كتاب للقاضي أبي بكر ابن العربي المعافري المالكي.

(2) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**». أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل؛ ومسلم في الطهارة، باب الذِّكْر المستحب عقب الوضوء.

فَأَمَّا أَذْكَارُ الأَعْضَاءِ فَلَمْ تَثْبُتْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ، بَلْ نَصَّ «**النَّوَاوِيُّ**» عَلَىٰ أَنَّهُ لَا أَصْلَ لَهَا، وَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْمَلَ إِلَّا بِمَا صَحَّ وَاتَّضَحَ وَإِلَّا كَانَ مُتَلَاعِبًا بِدِينِهِ، وَقَدْ دَلَلْتُكُمْ عَلَىٰ مَعَادِنِ ذَلِكَ فَاطْلُبُوهُ فِيهِ كَغَيْرِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

❖ فَصْلٌ ❖

وَأَذْكَارُ الخُرُوجِ لِلْمَسْجِدِ، وَاسْتِعْمَالِ النَّفْسِ فِي بَقِيَّةِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ مَذْكُورٌ فِي «**بِدَايَةِ الهِدَايَةِ**» وَغَيْرِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ تَسَاهَلَ فِي أَذْكَارٍ وَصَلَوَاتٍ فَخُذُوهَا مِنْ مَعَادِنِهَا كَـ«**التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ**» وَغَيْرِهِ.

وَإِيَّاكُمْ وَالوَسْوَسَةَ فَإِنَّهَا بِدْعَةٌ مَهْوُوسَةٌ، وَأَصْلُهَا جَهْلٌ بِالسُّنَّةِ أَوْ خَبَالٌ فِي العَقْلِ يدفعها قول: «**سُبْحَانَ المَلِكِ الخَلَّاقِ الفَعَّالِ،** ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: ١٩ - ٢٠]».

النوافل والأوراد المختارة عند الشيخ زروق رحمه الله

وَالَّذِي نَخْتَارُهُ لِأَنْفُسِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَخَفُّهُ وَأَوْسَطُهُ لِأَنَّهُ أَعْوَنُ عَلَىٰ الطَّاعَةِ وَأَقْرَبُ لِلسُّنَّةِ وَأَزْكَىٰ لِلدَّوَامِ، مَعَ خُرُوجِهِ عَنْ حَدِّ الإِفْرَاطِ المُمِلِّ وَالتَّفْرِيطِ المُخِلِّ.

فَنَجْمَعُ الفَرْضَ وَالنَّفْلَ فِي خَمْسِينَ رَكْعَةً، سَبْعَةَ عَشَرَ فِي الفَرْضِ، وَقَبْلَ الصُّبْحِ رَكْعَتَيْنِ، وَفِي الضُّحَىٰ سِتًّا، وَقَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَقَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، وَمِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنْهَا الشَّفْعُ وَالوَتْرُ. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ وَلَا قِرَاءَةٌ مَخْصُوصَةٌ.

وَمِنَ الأَذْكَارِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحَ: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[1] مائَةَ مَرَّةٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

ثُمَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ وَهِيَ: « **سُبْحَانَ اللَّـهِ، وَالْـحَمْدُ لِلَّـهِ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَاللَّـهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[2] مِائَةَ مَرَّةٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

«**سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّـهِ العَظِيمِ**»[3] مِائَةَ مَرَّةٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

ثُمَّ الاسْتِغْفَارُ مائَةَ مَرَّةٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً، ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مائَةَ مَرَّةٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في الدعوات، فضل التهليل؛ ومسلم في الذكر، فضل التهليل والتسبيح.

(2) عن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَىٰ اللَّـهِ تَعَالَىٰ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّـهِ، وَالْـحَمْدُ لِلَّـهِ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَاللَّـهُ أَكْبَرُ. لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**». أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة.

(3) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُقال: قال رسول اللّه صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ علىٰ اللِّسانِ، ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إلىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّـهِ العَظِيمِ**». أخرجه البخاري في الدعوات، باب فضل التسبيح؛ ومسلم في الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

وَيَقُولُ إِثْرَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالمَغْرِبِ عِنْدَ سَلَامِهِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» عَشْرًا.

«**حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**» مِثْلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ**» مِثْلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلِّمْ، وَاجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا هُوَ أَهْلُهُ**» كَذَلِكَ.

وَيَقُولُ إِثْرَ سَلَامِهِ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**» ثَلَاثًا.

«**اللَّهُمَّ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْزِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُوَ أَهْلُهُ**» ثَلَاثًا.

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**» مَرَّةً.

«**اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، كَذَلِكَ.

«**سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ**» ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، يَخْتِمُهَا بِـ«**لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**

قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[1].

ثُمَّ يَقْرَأُ الفَاتِحَةَ، وَآيَةَ الكُرْسِيِّ، وَ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إِلَىٰ آخِرِهِ.

وَ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٨ – ١٩].

و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون: ١]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]، وَالمُعَوِّذَتَيْنِ، مَرَّةً مَرَّةً.

وَيَدْعُو بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ثَلاثًا.

ثُمَّ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي

---

(1) البخاري في الأذان، الذكر بعد الصلاة؛ ومسلم في المساجد، الذكر بعد الصلاة.

ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ [الحديد: ١ – ٦].

ثُمَّ آخِرَ الحَشْرِ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣ – ٢٤].

ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِنْ شَاءَ، وَإِنْ تَلَا شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ بَعْدَ وِرْدِ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَلَا بَأْسَ.

ينبغي الحذر من الأدعية التي لم ترد بها السنة

وَلْيَحْذَرْ مِنَ الأَدْعِيَةِ الَّتِي لَمْ تَرِدْ بِهَا السُّنَّةُ، إِلَّا مَا اتَّضَحَ أَمْرُهُ كَأَدْعِيَةِ «**الشَّاذِلِيِّ**»(1) وَأَحْزَابِهِ، لَا سِيَّمَا «**حِزْبُ البَحْرِ**» بَعْدَ العَصْرِ، وَ«**الكَبِيرُ**» بَعْدَ الصُّبْحِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(1) وقد قال الإمام الفقيه أبو القاسم البرزلي في حقّ الشيخ أبي الحسن الشاذلي: هو من أهل علم الحقائق، ومعرفة الدقائق وأسرار كثيرة من علم التوحيد، وممن نوَّر الله قلبه للغَوْصِ في علم التنزيل وحِكْمَةِ السُّنة وخصائص العلوم الربانية، وذلك محفوظ عنه، ظاهر من كلامه وأحزابه، وهو من العلماء بالله تعالىٰ وبأمره، ومن أصحاب الأحوال، ومن رجال الآخرة وعلماء الإسلام ظاهرا وباطنا. (الفتاوىٰ، ج6/ ص445) وينبغي أن يعلم أن الشيخ البرزلي أخذ أحزاب وعلوم الشيخ أبي الحسن الشاذلي عن الشيخ أبي الحسن البطرني الذي أخذ عن الشيخ أبي العزائم تلميذ الشيخ أبي الحسن.

❖ خَاتِمَةٌ ❖

قَالَ بَعْضُ المَشَايِخِ: عَلَيْكَ بِالذِّكْرِ عِنْدَ البَسْطِ، وَبِالتَّفَكُّرِ عِنْدَ القَبْضِ، وَبِالحَمْدِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ.

وَوِرْدُكَ لَا تَتْرُكْهُ، إِنْ فَاتَكَ بِاللَّيْلِ اسْتَدْرِكْهُ بِالنَّهَارِ، وَبِالعَكْسِ. وَإِذَا سَافَرْتَ فَاجْعَلْ وِرْدَكَ فِي الذِّكْرِ، أَوِ اتْرُكْهُ عَلَىٰ حَالِهِ.

وَأَفْضَلُ صَلَوَاتِكَ: الخَمْسُ فِي الجَمَاعَةِ أَبَدًا.

وَلَا تَتْرُكِ الجُمُعَةَ أَبَدًا، وَإِنْ أَمْكَنَ فِي الجَامِعِ فَهُوَ أَحْسَنُ، وَإِلَّا حَيْثُ أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ.

وَاقْضِ مَا فَاتَكَ، وَإِنْ فَاتَتْكَ الجُمُعَةُ فَتَصَدَّقْ بِدِينَارٍ أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ أَوْ دِرْهَمٍ أَوْ نِصْفِ دِرْهَمٍ أَوْ صَاعٍ أَوْ نِصْفِ صَاعٍ.

وَلَا تُعَاتِبَنَّ أَحَدًا قَبْلَ إِخْوَانِكَ، وَاهْجُرْ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِالأَدَبِ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَيْهِ.

وَالوَقْتُ الَّذِي يَتَوَسَّطُ لَكَ بَيْنَ أَوْقَاتِ العِبَادَاتِ فَاجْعَلْهُ فِي طَلَبِ العِلْمِ النَّافِعِ، فَبِالعِلْمِ النَّافِعِ السَّعَادَةُ، وَبِالعَمَلِ بِهِ الثَّبَاتُ فِيهَا.

وَأَقِلَّ مِنَ البَسْطِ فَإِنَّهُ يَجْذِبُ السَّالِكَ إِلَىٰ خَلْفٍ، وَيَخْرِمُ عَلَىٰ الوَاصِلِ نِظَامَ أُصُولِهِ الأُوَلِ، وَاللهُ يُدِيمُ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ، وَالسَّلَامُ.

انْتَهَىٰ بِالمَعْنَىٰ لِبَعْضِهِ، وَبِهِ انْتَهَىٰ مَا تَيَسَّرَ فِي الوَقْتِ لِعَاجِلَةِ السَّفَرِ وَضِيقِ الوَقْتِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

وَكَتَبَ مُصَنِّفُهُ الفَقِيرُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَىٰ البرْنُسِيُّ أَصْلَحَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَبِطَيْبَةَ المُشَرَّفَةَ سَنَةَ 895هـ، خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمِئَةٍ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ.

انتهىٰ ليلة السبت خامس شوال عام 1214هـ أربعة عشر ومائتين وألف.

تمّ بحمد الله

فهرس